دكتور مصطفى محمود

حوار ..
في دنيا الله

الحب القديم

الناس يفهمون الدين على أنه مجموعة الأوامر والنواهى ولوائح العقاب وحدود الحرام والحلال .. وكلها من شئون الدنيا .. أما الدين فشىء آخر أعمق وأشمل وأبعد .

الدين فى حقيقته هو الحب القديم الذى جئنا به إلى الدنيا والحنين الدائم الذى يملأ شغاف قلوبنا إلى الوطن الأصل الذى جئنا منه ، والعطش الروحى إلى النبع الذى صدرنا عنه والذى يملأ كل جارحة من جوارحنا شوقا وحنينا .. وهو حنين تطمسه غواشى الدنيا وشواغلها وشهواتها .

ولا نفيق على هذا الحنين إلا لحظة يحيطنا القبح والظلم والعبث والفوضى والاضطراب فى هذا العالم فنشعر أننا غرباء

عنه وأننا لسنا منه وإنما مجرد زوار وعابرى طريق ولحظتها نهفو إلى ذلك الوطن الأصل الذى جئنا منه ونرفع رؤوسنا فى شوق وتلقائية إلى السماء وتهمس كل جارحة فينا .. يا الله .. أين أنت .

ولحظة نخطىء ونتورط فى الظلم وننحدر إلى دركات الخسران فننكس الرؤوس فى ندم وندرك أننا مداتون مسئولون .. فذلك هو الدين .. ذلك الرباط الخفى من الحنين لماض مجهول .. وذلك الإحساس بالمسئولية وبأننا مدينون أمام ذات عليا .. وذلك الإحساس العميق فى لحظات الوحدة والهجر .. بأننا لسنا وحدنا وإنما نحن فى معية غيبية وفى أنس خفى وأن هناك يدا خفية سوف تنتشلنا ، وذاتا عليا سوف تلهمنا وركنا شديدا سوف يحمينا ، وعظيما سوف يتداركنا .. فذلك هو الدين فى أصله وحقيقته .

وما تبقى بعد ذلك من أوامر ونواه وحرام وحلال وأحكام وعبادات هى تفاصيل ونتائج وموجبات لهذا الحب القديم .

ولكن الحب هو رأس القضية .. وإذا غاب ذلك الحب فإن كل العبادات والطاعات لن تصنع دينا ولن تصنع متدينا مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا .

وما كان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين .. على دين أى دين .. ولا كان سفاحو الصرب الذين يقتلون الأبرياء على أى ملة من ملل النصارى ولا كان إرهابيو اليوم الذين يفجرون القنابل مسلمين .. ولو صلوا جميعا ولو صاموا الدهر ولو أطالوا اللحى وقصروا الجلابيب وحملوا المصاحف ورتلوا الآيات .. ما بلغوا من الدين شيئا .

وهل بلغ النبى يحيا (يوحنا المعمدان) عليه الصلاة والسلام ما بلغه من نبوة إلا بذلك الحنان الذى كان يفيض منه والذى قال فيه ربه : ﴿ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ﴾ [مريم : ١٣]

فتلك كانت أركان نبوته .. الحنان والزكاة والتقوى .

ونبينا عليه الصلاة والسلام الذى كان يحتضن جبل أحد ويقول :

هذا جبل يحبنا ونحبه ..

حتى الجماد كان موضع حب النبى وتوقيره

وهذا ابن عربى يقول :

لن تبلغ من الدين شيئا حتى توقر جميع الخلائق ولا تحتقر مخلوقا ما دام الله قد صنعه .

وهذا ربنا يقول عن المؤمنين :

﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ [الحجرات:٣]

فالقلوب هى دائما موضوع الامتحان .

وحب الله وحب ما خلق وما صنع من أرضين وسماوات ونبات وحيوان وبشر هو جوهر كل الديانات الحقة .. وهو المقياس الذى نفرق به بين أهل الدين .. والأدعياء المشعوذين والكذبة .

وكل الدعاة الذين يغرقون أتباعهم فى التفاصيل والقشور والمظاهر ويبتعدون بهم عن روح الدين .. عن الحب والرحمة والتقوى ومكارم الأخلاق .. هم من الكذبة بقدر بعدهم عنها .

وما كان اعتراض المسيح على الفريسيين إلا لإغراقهم فى الجدل وفى حرفية النصوص وفى ظاهر الكلمات دون التفات إلى روحها .

وما كانت نقمة موسى على اليهود حينما أمرهم بأن يذبحوا بقرة .. إلا لإغراقهم فى الجدل والتنطع والسؤال .. أى بقرة تكون وما لونها .. بنية هى أم مرقشة أم صفراء .. عجوز أم بكر .. ادع لنا ربك يبين لنا ما هى .. أو لعلك تهزأ بنا .

هذا الجدل والغرق فى التفاصيل والتحجر على الحروف والكلمات أخرجهم من الدين فى نظر موسى واستحقوا عليه التقريع واللوم .

وللأسف الشديد التدين اليوم خرج من روح التدين بسبب انحراف الدعوة وانحراف أكثر الدعاة وإغراقهم فى القشور والتفاصيل والخلافيات والأمور الثانوية مما ألقى بأكثر المسلمين إلى الاختلاف والجدل والتعصب .. ومما خلق الذرائع لمحترفى الإرهاب ولهواة التعصب ، ومما أوجد هذا التدين السطحى المتهوس الأبله .

وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعودة إلى روح الإسلام وإلى نبعه الشامل .. إلى فضائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم وتدبر معانى النصوص وعدم الوقوف عند حروفها وقراءة القرآن بالقلب وليس بالأحداق .

والإسلام ليس ألغازا وليس لوغاريتمات ولا يحتاج منا إلى كل تلك الفتاوى .

والنبى عليه الصلاة والسلام أجاب من سأله عن الإسلام فقال فى كلمات قليلة بليغة :

قل لا إله إلا الله ثم استقم .

هكذا ببساطة .. كل المطلوب هو التوحيد والاستقامة على مكارم الأخلاق .

إنها الفطرة والبداهة التى نولد بها لا أكثر .. أن تحب أخاك كما تحب نفسك .

اسأل نفسك .. هل تنام كل يوم على مودة وحب ورغبة فى الخير ونية فى عمل صالح ؟ أم على غل وكراهية وحسد وتربص؟ .. وستعلم إلى أى مدى أنت على دين الإسلام .

ماذا تخفى فى طيات ثيابك؟ هل تخفى خنجرا أم مسدسا ؟ أم تخفى هدية حب ورسالة خير لإخوانك ؟

هل تخطط لتبنى أم لتهدم ؟

هل تنطق بالطيب من القول وبالنافع من الكلام ؟ أم تدعو إلى الخراب والدمار والفتن ؟

إن الدين لا يحمل سيفا إلا للدفاع عن مظلوم ولا يعرف العنف إلا إصلاحا .

بهذه المقاييس تعرف نفسك وتعرف الخانة التى يقف فيها ذلك الداعية الذى يدعوك إلى الإسلام .. وتعلم أين يقف .. مع الدين أم مع الإجرام .

إن الفطرة والبداهة دليلك .. ولست فى حاجة إلى فقه أو فلسفة أو فتوى .

قلبك يفتيك .

إنه الحب .. قلب القضية وروحها .. والجوهر الصافى لجميع الأديان وكل الرسالات .

أما الشرائع والأوامر والنواهى فهى لتنظيم شئون الدنيا

لا غير.. وهى تابعة للإطار العام .. إشاعة السلام والعدل والحب بين الناس .. وسوف يتوقف عملها فى الآخرة .. حينما لا يعود لأحد حكم أو سلطان .

﴿ لمن الملك اليوم .. لله الواحد القهار ﴾ .

انتهت وظيفة كل الشرائع وكل الأوامر .. لأن الأمر الآن أصبح أمر ملك الملوك مباشرة ، والتصريف تصريفه ، والعدل عدله، والبطش بطشه .. ولم يعد لأحد الحرية فى أن يطغى أو يظلم .

ومجال الشرائع إذن محدود بوظائفها وزمانها .

وكما قال الفقيه الإسلامى العظيم .. العز بن عبد السلام .

فى زمان شيوع البلوى إذا أصبح تطبيق الشريعة مؤديا إلى ازدياد المنكر فإنه يحسن بالمسلم عدم تطبيقها (شهود الزور على أبواب المحاكم ويمكنك أن تستأجر أى واحد لتقطع به يد خصمك).

ومن هنا أفتى العز بن عبد السلام بعدم تطبيق حد الخمر على عسكر التتار لأن سكرهم وغيبوبتهم سوف تكف شرهم عن الناس وفى ذلك فائدة وخير .. بينما إفاقتهم سوف تؤدى بهم إلى معاودة الأذى والضرر وفى ذلك مزيد من المنكر .

لقد فهم ذلك الفقيه العظيم أن حكمة الشرائع هى إقامة المصالح فى الدنيا وأنها مرتبطة بالمنافع وليس لها حكم مطلق وأن مجالها محدود بوظائفها وزمانها .

وبهذا المعنى نفسه لم يطبق النبى عليه الصلاة والسلام حد القطع على السارق فى سنوات الحرب كما لم يطبقه عمر بن الخطاب فى عام المجاعة .

ونفس هذا الكلام يقال للغوغائيين من الدعاة والسطحيين الذين يطالبون بقطع الأيدى والرجم والجلد كعلاج للفساد الموجود .. وهم لا يعلمون أن الفقه الإسلامى نفسه لا يوافقهم على هذا الفهم السطحى والغوغائى .. فالعصر باعترافهم عصر شيوع الفساد وشيوع البلوى ، وبالتالى يستوجب فقها آخر ملائما للظرف القائم .. لأن تطبيق الحدود العادية سوف يزيد المنكر نكرا .. فالوزير والكبير الذى يسرق مئات الملايين عن طريق العمولات لن تنطبق عليه شروط القطع الفقهية التقليدية وسوف يُعفى من القطع بينما النشال الذى يسرق خمسة جنيهات سوف تقطع يده وفى ذلك ظلم فاحش وتشجيع للكل بأن يسرقوا وينهبوا بالوسائل الملتوية من عمولات ورشوة واختلاس وتزييف وخلافه .. وفى ذلك حض على عموم المنكر .

وعلى باب أى محكمة يمكنك أن تشترى أربعة شهود زور لتقطع يد من تريد وترجم من تشاء .

ثم من يقطع يد من فى عالم كله من اللصوص والمرتشين .. ؟!!

ونفس الشىء يقال فى معاقبة الزانى بالرجم فى الوقت الذى تحض فيه الإذاعات والبث التليفزيونى الخارجى الهابط من الجو عبر الأقمار الصناعية على الفحش العلنى وتدفع بالشباب دفعا إلى الفسق .. فالشباب مجنى عليه وليس جانيا وإطلاق الحدود فى مثل هذه الحال من شيوع البلوى ظلم .. فضلا عن استحالة استيفاء الشروط الفقهية للرجم وهى .. أربعة شهود يحلفون بأنهم شهدوا عملية الإدخال .. فالعقوبة هنا غير واردة .. وهؤلاء الدعاة الغوغائيون يقولون إفكا من القول وزورا ويباشرون فهما

متحجرا ضيق الأفق لا يقول به أى فقيه مسلم مستنير .

وينسى هؤلاء عقلانية الإسلام ومرونته وتقديره للظروف .. ويأخذون من القرآن آية واحدة مقطوعة من سياقها ويغفلون روح القرآن فى مجموع آياته ونصوصه وهو كتاب أوله رحمة وآخره رحمة .

ألم يقل الإنجيل فى صريح آياته :

إن أعثرتك يدك فاقطعها وإن أعثرتك عينك فاقلعها .

وهو أمر بقطع اليد التى تسرق وفقء العين التى تزنى .. ومع ذلك لم يقل أحد من فقهاء المسيحية بهذا .. وإنما وضعوا الآية داخل مجموع آيات الإنجيل وسوره وقالوا بالروح العامة التى تشيع فى كتابهم .. وهى روح المحبة والرحمة والعفو والمغفرة .. واكتفوا بالعقوبات التعزيرية مثل السجن والتأديب والغرامة .

بهذا المفهوم من الحب والرحمة يكون النظر إلى الشرائع فى إطار زمانها ومكانها وظروفها وفى إطار الرحمة التى أوجبها الله.. فهو سبحانه خلق لنا الشرائع لإسعادنا فى الدنيا وليس لتعذيبنا وخلق لنا العقل لنتدبر كلماته ولم يضع داخل رؤوسنا حجارة ولا جعلنا آلات تنفذ فى آلية بلا تدبر وبلا تفكير .. وأراد بروح النصوص أن تكون هى الحاكمة على حروفها .. وبدأ باسمه الرحمن الرحيم كل شىء .

وإسلامنا أوله رحمة وآخره حمد وأوسطه محبة .

والحب هو روح الوجود وهو سر ديمومته .. وهو النفحة الربانية التى بدونها تنهد أركان الشرائع جميعها وتزول النعمة وينعدم المعنى .

وبدون الحب فى قلبك لا يعود لوجودك معنى ولا لفضائلك معنى ولا لدينك معنى أى معنى مهما أطلت اللحى وبسملت وحوقلت وصُمت وحججت واعتمرت .

وغنى عن البيان أن المقصود بالحب هنا .. هو حب الحق وحب الخير وحب العدل وحب الجمال وحب المثل العليا وهى جميعها أسماء الله الحسنى ومسمياته .. فهو سبحانه وحده الذى له المثل الأعلى فى السموات والأرض .. وهو الحق وهو العدل الحكم وهو بديع السموات والأرض .. وكل جمال فى الكون يرتد إلى جماله وكل كمال فى الخلق يرتد إلى كماله .

وهذا هو الحب القديم الذى فُطرنا عليه منذ أن خاطبنا ربنا قبل أن نولد وقبل أن نجىء إلى الدنيا هاتفا بنا :

الست بربكم .

فقلنا جميعا ونحن ننظر بتعلق وحب إلى وجهه الكريم :

بلى شهدنا .

وهذا الحب هو حقيقة كل الأديان وروح كل العقائد وأساس كل الملل .. وبدونه لا معنى لدين ولا معنى لدينونة .

وهذا الشوق النبيل هو الطاقة الدافعة وراء كل فن عظيم وكل إبداع رفيع وكل فكر ملهم وكل استشهاد وكل فداء وكل بطولة .

وهذه النورانية فينا هى التى اقتضت سجود الملائكة وتسخير الكون لنا .. وهى التى جعلت حياتنا رغم مشقاتها وعذابها جديرة بأن نحياها .

فماذا نحن فاعلون ؟

أما زلنا نختلف سنة وشيعة وشوافع وأحنافا وزيودا .. وعلى ماذا ؟

على ماء الوضوء يصل إلى الكوع أو يشمله .. وعلى الأيدى ترسل على الجانبين أثناء الصلاة أو تضم على الصدر .. وعلى نقاب أم حجاب .. ولحية أم جلباب .. وأذان واحد لإقامة الصلاة أم اثنين .. ونجهر بالصلاة متى ونخافت بها متى .. وننتظر الإمام الغائب أم لا ننتظر .. ونولى الفقيه أم السياسى .. ونضع أموالنا فى البنك أو عند الريان .

يا سادة .. فيم تختلفون .. ألا ترون الأيدى التى تريد أن تلقى بكم فى جب وتهيل عليكم التراب؟ .. ألا تسمعون كلام الله يدوى فى آذانكم .

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء : ٩٢]

ألا تسمعون وعيده وتهديده وهو يقول :

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾

[محمد : ٣٨]

وإنه ليوشك أن يفعل إذا استمر خلافنا .

وفيم الخلاف وقد آذن الموت باقتراب وأطبق علينا التآمر من كل جانب .

وكيف يختلف أهل توحيد وأهل فطرة .. دينهم أبسط وأوضح من نور النهار .. أوجزه نبيهم فى كلمات :

قل لا إله إلا الله ثم استقم .

لم يذكر عمامة ولا جلبابا ولا لحية ولا نقابا .. وإنما فقط الاستقامة على مكارم الأخلاق وعلى توحيد الله .. وكل ما عدا ذلك فضول .. وهل البنوك حرام أم حلال؟ وهل التصوير حرام أم

حلال ؟ وهل الموسيقى حرام أم حلال .. ؟

وهل الغناء حرام أم حلال .. ؟

لم يدخل بنا فى هذه التفاصيل والمتاهات .

وقد غنت البنات والأولاد للنبى عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة وأنشدته الخنساء الشعر فاستزادها .. ولو كانت هناك كاميرات على زمان النبى لوجدنا له ولصحابته الكرام مئات الصور .

وهناك الجيد والرفيع من الفنون الذى تنشرح له الصدور وهناك الوضيع والهابط الذى تعافه الأذواق وترفضه النفوس قبل الشرائع .

وتستجد فى كل زمان أحوال وظروف .

وتطرأ ملابسات ومتغيرات .

ثم لا تختلف الأذواق على قبح القبيح وعلى حسن الحسن .

ولا يحتاج أهل الفطر السليمة إلى فتاوى وإنما قلب المؤمن دليله.

إنما هى تجارة جديدة يمشى بها تجار السوء فى الناس فيشككون فى كل شىء ويبثون الوسواس وينشرون الخلافات ويشيعون المخاوف ويبذرون الأحقاد ويجعلون من كل طائفة عدوة للأخرى ويجعلون من كل إنسان خصيما لأخيه .

وهى تجارة تروج مع التخلف وتزدهر فى الأزمنة الرديئة .

ونحن بلا شك فى أردأ الأزمان .

وإذ يوشك الظلام أن يشتد ويملأ تجار السوء الأرصفة ببضاعتهم الفاسدة ويتنادى أبالسة الشقاق ليشتتوا الناس شراذم

وجذاذات .. بينما تزحف علينا العداوات من كل جانب ونحن فى غفلة .. لا أملك إلا أن أصيح بالكل .. أن انتبهوا .. واستقيموا يرحمكم الله .. وسدوا الفرج .. وضموا الصفوف .. فليس أولى بالوحدة منا نحن عباد الواحد .. فليس عندنا كثرة من الآلهة نختلف عليها وإنما هو إله واحد ونبينا واحد وقبلتنا واحدة وصلاتنا واحدة .. ولا خلاف بين سنة وشيعة فكلنا بحب أهل البيت مشغوفون وبسيرتهم مغرمون وسيدنا على هو سيد شباب أهل الجنة وهو فى أعيننا سنة وشيعة .. والطقوسية ليست بضاعتنا .. وإسلامنا ليس ضد النصارى بل هو معهم ما تعاونوا وما تحابوا .. والذين قتلوا مسلمى البوسنة ليسوا بنصارى بل هم وحوش لا ملة لهم ولا دين .. ولو كانوا نصارى لنفعهم إنجيلهم الذى يقول أحبوا أعداءكم .. وأتباع عيسى بحق وأتباع محمد بحق هم على طريق واحد وهو طريق موسى وطريق جميع الأنبياء فكلمة الله لجميع أنبيائه واحدة ولكن صهاينة اليهود خانوا توراتهم واتبعوا أهواءهم واتخذوا من التلمود والبروتوكولات دستورهم .. وصليبية اليوم ليست صليبية نصرانية بل صليبية صهيونية يهودية .

وأقول لكم .. اتفقوا وتناصحوا وتحابوا وتآخوا وتماسكوا صفا واحدا .

وإذا كان ربنا يقول إنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. فإن ما بأنفسنا الذى يريد ربنا أن نغيره هو هذه الأنانية والعصبية والطائفية وعبادة الرأى وعبادة النفس وعبادة الهوى وحب الدنيا والانغلاق على شخصانية ضيقة غبية عمياء

لا ترى إلا لشبر واحد أمامها .

لم يطلب منا ربنا حيازة تكنولوجيا الذرة والالكترونيات والليزر لينصرنا .. وإنما طلب هذا الطلب الواحد البسيط .. أن نغير ما بأنفسنا .. وقد أرانا بأعيننا كيف انتهت روسيا دون حرب وكيف ركعت على أقدامها دون أن تطلق عليها رصاصة .. وكيف انهزمت من الداخل .. من داخل نفوسها فانهارت وعلى ظهرها من القنابل الهيدروجينية ما يكفى لتفجير الكرة الأرضية عدة مرات .. فكذلك تكون نهاية الأمم العملاقة حينما تطغى .

وأتوجه بهذا النداء إلى ٤٧ دولة إسلامية فيها أكثر من نصف كنوز الكرة الأرضية وأغلبها يتسول طعامه ويقترض مصروف يومه .. وأقول لهم .. منظركم عجيب وأنتم كالإبل الشاردة لا تجتمع على كلمة .. ألا تسمعوا حادى الصلاة وهو ينادى عليكم :

استقيموا يرحمكم الله .. وسدوا الفرج .. وضموا الصفوف .

إنما يريدها سنة حياة لا تعليمات لمدى خمس دقائق .

فصلاة المسلم هى مؤشر لحياته ولا صلاة لكم وأنتم ممسكون بعضكم بخناق بعض .

فاجتمعوا وتحابوا واتحدوا فقد تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها وأنتم كثير ولكن كغثاء السيل الذى انفرط وتفرق بددا .

فهلا اجتمعتم .. قبل أن يأتى عليكم الطوفان ؟

أليس فيكم رجل رشيد ؟

عجبت لكم .. أراكم فى الصلاة تتوجهون بالملايين إلى كعبة واحدة فى مكة .. فإذا انقضت الصلاة انفرط الجميع وتفرقت بكم

الطرق .. فمنكم من كعبتـه واشنطن .. ومنكم من كعبته باريس .. ومنكم من كعبته جنيف .. ومنكم من كـعبته إسرائيل .. ومنكم من كعـبتـه صندوق النقـد الدولى .. ومنكم من كعـبتـه الـ C. I. A. .. ومنكم من كعبته نفسه .

فأى نجاح تنتظرون وكل منكم حرب على الآخر ؟

هل أرسلتم النظر لأبعد من أقـدامكم فالموت على الباب والله من ورائكم محيط وما تبقى من عـمركم لحظة .. ثم لا يعود يغنى مال ولا بنون ولا جـاه ولا مـلايين الدولارات فـى بنوك نيـويورك ولوكسمبورج ولندن .

لقـد قررت إسـرائيل يا سـادة أن تقيم دولتهـا الكبـرى على أكتافكم .. على أكتاف عداواتكم وتفرقكم .

وقررت أن يكون ذلك فى السنوات القليلة القادمة .

فهل أنتم منتهون ؟

أم هى الإبادة ؟

سواح.. فى دنيا الله

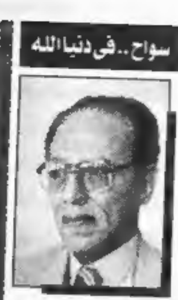

المخطط الكبير

المعركة مع المسلمـين معلنة منذ سنوات على أشدها فى أوروبا وآسيا .

ويقوم الصـرب والكروات (وهم أرثوذكس وكاثوليك أوروبا) بتصفـية المسلمين ومطاردتهم وذبحهم وإفنائهم بمسـاندة روسيا والبلغـار ورومـانيـا واليـونان فى جـو من (الطنـاش) العـام الأوروبى الأمـريكى يـغطونه من حـين لأخـر ببـعض المعـونات الغـذائية وبعض الأدوية وبعض تـصريحـات الاستنكار وكلمـات المواساة .

أما فى بلادنا فقد استأجروا المسلمـين فيها لضرب المسلمين .. استـأجروا البـعض من ساقطى الهـمة من « المسلمين بـالبطاقة »

ومن العملاء ومحترفى الإجرام والعاطلين والحاقدين .. وأداروهم بالريموت كونترول من بعيد .. يغرون صغارهم بالدولار ويغرون كبارهم بأحلام الرياسة .. اللعبة القديمة قدم التاريخ والتى تنجح دائما رغم قدمها .. هذا مع التشويش طول الوقت على الإسلام وعلى رموزه فالإجرام والقتل بالرشاشات يسمونه الأصولية الإسلامية ويسمون أصحابه بالأصوليين .. والدولة الإسلامية المطلوب إقامتها هى دولة قطع الأيدى والرجم ومعاداة العلم واضطهاد الأقليات ومصادرة الحريات .. والنماذج هى أفغانستان والسودان وهى طبعا نماذج لا تشجع أحدا .

وتتطوع فلول الشيوعية المهزومة وبقايا الماركسيين الذين أصبحوا بلا هوية بالترويج لهذا التشويش تحت رايات علمانية وليبرالية بريئة لكسب القطاع السلبى الكبير من الجمهور المتردد الحائر المبلبل الذى فقد القدوة وفقد الاتجاه .

ولتطويع السلطة وترويض صناع القرار كان لابد من ضرب الاقتصاد المصرى كله حتى لا تجد السلطة خيارا سوى الجوع أو الخضوع وتسول المعونات .

وكان معنى هذا أن يضرب الإرهاب (الذى يسمونه كذبا وزورا بالأصولية الإسلامية) هدفين .. السياحة والاستثمار .. وهما عصب الاقتصاد فى مصر .. وعلى الأيدى المجرمة أن تضرب الوزير ليخاف الكبير .. والخطة بهذا الشكل هى مؤامرة مرسومة بعناية وبذكاء وحرفية وليست من بنات أفكار الشيخ جابر الطبال أمير إمبابة ولا الشيخ العميل القابع فى نيويورك .. إنما هى مكر رفيع المستوى مدار بأستاذية .. ونحن أمام صناعة غربية مائة فى المائة .

وأمام مثل هذا المستوى الرفيع من التآمر .. لا يوجد سوى حل واحد هو أن نفتح ملف الاتهام على نفس المستوى .. وأن نبحث عن الخيط الذى يؤدى إلى الصيد الكبير .. ولا نكتفى بالشكوك القريبة التى لا تتجاوز اتهام العواطلية ولا تتخطى أبواب طهران والخرطوم على الأكثر ..

لا بل أقول أكثر من هذا .. أقول إن إيران والسودان كلتيهما ضحية لنفس التآمر .. نفس التآمر الأمريكى هو الذى أطلق على إيران كلب الصيد المتوحش صدام حسين فى حرب الثمانى سنوات وهو نفسه الذى يطلق عليها الآن اتهامات الإرهاب .. كما أن نفس التآمر الغربى هو الذى صنع حرب التبشير فى جنوب السودان وهو الذى قام بتسليح القبائل فى الجنوب وهو الذى ضرب جنوب السودان بالمجاعة وضرب شمالها بالدمار الاقتصادى .. وأخبار الإرهاب الإيرانى التى تأتينا نأخذها نقلا عن المخابرات الأمريكية CIA صاحبة المصلحة الأولى فى الفتنة .

إن الأيدى المتآمرة من وراء كل هؤلاء والتخطيط كله قادم من وكر الاستعمار القديم وعليه بصمة أمريكا وإسرائيل .. والتآمر الأوروبى على مسلمى البوسنة مثال آخر قريب .. والأيدى التى تنسف بيوت العرب فى الضفة والقطاع كل يوم هى الأيدى الإسرائيلية .. ولسنا فى حاجة لأن نستورد أعداء جددا من بين أنفسنا .

أما لماذا ينجح هذا التآمر دائما .. ولماذا نفشل دائما فى كشفه ومواجهته فلأننا نحن المسلمين أهل سذاجة وطيبة ولسنا عدوانيين بفطرتنا ولا أهل مكر ونحن نباشر أعمالنا دائما بسطحية وحسن نية ونصدق كل ما يقال لنا .

وهم يقولون دائما فى المثل . لك الجنة يا عبيط .

وهذه الجنة فى الآخرة .. أما فى الدنيا فهذا النوع دائما يأخذ على قفاه .

فإذا أضفنا إلى هذا ما صنعته أجيال الاستعمار بنا من تخلف ومعاناة اقتصادية وغزو ثقافى وطائفية وانقسام وحدود مفتعلة بين دول صغيرة تضرب بعضها بعضا على لا شيء .. فإن النتيجة ما كان يمكن أن تكون بأحسن مما نراه بل ربما كان السوء الذى نشهده فيه الكثير من اللطف الإلهى والرحمة التى لا نستحقها .. ولولا ذلك اللطف لكنا الآن تحت مستوى العدم بكثير .

بل أقول أكثر من هذا إن الله تعطف وتكرم علينا بنعمة الإسلام كعوض كريم .. وهو عوض كريم جدا فقد أعطانا الآخرة مقابل ما أعطى أهل المكر من الدنيا .

وقد أعطاهم الدنيا حقا وعدلا لأنهم لم يطلبوا إلا الدنيا ولم يؤمنوا إلا بالدنيا ولأنهم رأوا فى الدنيا كفايتهم ولأنهم كافحوا من أجلها .. ولكلٍ ما سأل .. وهذا هو الكرم فى قمته .

ألم يقل ربنا فى قرآنه لكل الناس .

﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم ٣٤] .

ولو سألوه الآخرة لأعطاها لهم ولكنهم أنكروها ولم يؤمنوا بها.

ولكنى لا أتخذ من هذا الكلام ذريعة لقبول ما نحن فيه .. فالله لم يرد للمسلمين الهوان فى الدنيا بل أراد لهم عزة الدارين . وقال . ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ .. فعلينا إذن أن ننفض عنا هذا اليأس والتواكل والجهل والتخلف والسلبية

.. ونمس كل الأسباب المتاحة لننهض وإذا كان لهؤلاء الناس ..كرهم فلماذا لا يكون لنا مكرنا .. والله يمكر لعبده الذى يحبه . ألم يقل

﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ [يوسف : ٧٦]

وقد مكر الله ليوسف ليأخذ إليه أخاه وليأتى بأهله من البادية والله مع عبده طالما كان عبده معه . ولكن الدين المطلوب هنا هو الإسلام بحق . هو إسلام التقوى .. إسلام العلم والعمل ومكارم الأخلاق وليس إسلام المظاهر واللحى والشعارات الذى يروج له أصحابنا فى تجارة التعمية والتشويش الرائجة هذه الأيام .

إن الحرب ستطول بلا شك وهى فى حاجة لقيادات واعية ولفهم عميق لما يجرى وإلى بصيرة وليس إلى فورات إنفعالية وهتافات فجة .

انظروا وتدبروا . ولا تصدقوا كل ما يقال واسألوا الله العون فإن الظلام هذه المرة شديد والمكر طبقات بعضها فوق بعض

والأولوية فى خطتنا يا سيادة الرئيس يجب أن تكون لعمل كثافة عمرانية فى سيناء .. ولا أعنى بذلك إنشاء قرى سياحية ترفيهية بل أقصد عمل كثافة عمرانية فى قلب وشمال سيناء وإنشاء مدن صناعية وزراعية وحفر آبار وشق أنهار ونبش آثار وفتح مناجم ونقل الملايين من الشباب العاطل الذى يملأ شوارع القاهرة إلى قلب الصحراء المعمرة وتحويل خلاء سيناء إلى سد مزدحم يقف فى وجه أطماع إسرائيل المقبلة . فإذا أرادت أن تكتسح سيناء وسوف تفعل فإنها سوف تخوض فى زحام وبحر من دم وتحارب من بيت لبيت ومن خندق لخندق ..

إن صناعة السلام لا تكون بالدبلوماسية وحدها .. وإنما بأن نجعل الحرب بالنسبة للطرف الآخر .. مكلفة ومستحيلة .

أما بقاء سيناء بشكلها الحالى فإنها لن تعنى بالنسبة لاى جيش مهاجم سوى نزهة بالدبابات بضع ساعات تصبح بعدها على ضفة القناال .. وهى بهذا الوضع تغرى بالحرب والعدوان .

وتعمير سيناء يعنى أكثر من مجرد خط دفاعى للمستقبل فهو أيضا حل فورى للتكدس السكانى وللبطالة وللمشكلة الغذائية ولنقص القمح والحبوب وهو قفزة واسعة على طريق التصنيع واستثمار الثروة المعدنية وتفجير المياه الجوفية وتفجير الخير والقوت والرخاء . وإنقاذ لأرض سيناء الخصبة من الأيدى التى تستغلها فى زراعة البانجو والأفيون .

وقد فعلها الفراعنة من خمسة آلاف سنة . ومناجم النحاس محفور عليها بالهيروغليفية أسماء ملوك مصر . فكيف يعجز الأحفاد بكل منا عندهم من تكنولوجيا عما فعله الأجداد بأياديهم العارية

ضع هذه المسألة يا سيادة الرئيس على القمة من أولوياتك .. وأرصد لها كل الأموال اللازمة وابدأ بها فورا . فمصر محاصرة بالعداء والأحقاد والتآمر من كل جانب وهم يمكرون بنا طول الوقت .

وقد جعل عبد الناصر من مشروع السد العالى هدف حياته وجعل السادات من التحرير والعبور هدف عمره فأجعل انت من سيناء وعمارها غايتك ومركبك وابدأ من اليوم وتذكر اننا جميعا مجرد أسماء منقوشة على الماء ما يلبث أن يمحوها موج الزمن ولا يبقى منها إلا ما صنعت .. فشمر السواعد ونحن معك واجعل سيناء مشروعا قوميا يشترك الكل فيه .

يا حليم متى تغضب

يقولها الناس رافعين الأكف إلى الله كلما رأوا ما يجرى على مسلمى البوسنة وكوسوفا من خسف ونسف وقتل وحرق وما يصنعه سفاحو الصرب الظلمة من مجازر وبشاعات . وما يصنعه الوحوش الروس فى شعب الشيشان المسلم فيسألون الله أن ينزل غضبه ونقمته على رؤوسهم .

وأقول لهم .. حسبكم . لا تطلبوا من الله الغضب .. فإن غضب الله إذا نزل سوف ينزل على الظالمين وعلى المتفرجين وسوف يأخذ الجبارين والساكتين وسوف يشمل ٤٧ دولة مسلمة اكتفت بالمؤتمرات والتصريحات والميكروفونات وفتات المعونات .

لقد اعتبر عمر بن الخطاب نفسه مسئولا عن الدابة التى عثرت فى حفرة بالعراق . فماذا كان يفعل لو أنه كان يعيش مأساتنا الآن

بل ندعو جميعا بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام حينما تقطعت به الأسباب وتكاثر عليه مجرمو المشركين فى الطائف يطاردونه ويلقون عليه بالحصى والحجارة فجلس متعبا يلتقط أنفاسه ويخاطب ربه ذلك الخطاب البليغ المؤثر .

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. يا أرحم الراحمين .. إلى من تكلنى .. إلى قريب يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى .. إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع لى ..

فهذا هو حالنا حال المغلوب على أمره الذى يسأل الله الرحمة والعافية وليس الغضب .. وكيف نسأل الله الغضب .. والتقصير يلبسنا من كل جانب .

بل العكس هو الصحيح أن نسأله أن يرفع عنا غضبه ونسأله العافية ونسأله أن يجعل لنا مخرجا وأن يلهمنا الحكمة والسداد وألا يكلنا إلى أعداء ملكهم أمرنا . فهذه حقيقة البلاء الذى نزل بنا إن من وكلنا الله إليهم ومن ملكهم أمرنا هم أعداؤنا وهم أجانب وغرباء يتجهموننا . وهذا هو البلاء والاختبار الذى أراده .

أما ما خفى من حكمته وراء هذا الاختبار .. فهو الغيب الذى سنعلمه مستقبلا

أما الخائفون من أن يندثر الإسلام من الأرض بهذه الإبادة التى تجرى للمسلمين فى كل مكان فإنى أقول لهم حتى لو أبادوا الألف مليون مسلم وبقى واحد .. سيبدأ الإسلام من جديد بهذا الواحد ..

ألم يبدأ الإسلام منذ ألف وربعمائة سنة بواحد ألم يبدأ الطوفان بقطرة

إنما هى مشيئة الله التى تبارك فى تلك القطرة وإرادته هى التى تنفخ فى ذلك الواحد فيصبح أمة .. فلماذا تطلبون غضب الله .

وإذا كنتم ترون أن الموقف يستوجب الغضب بالفعل فلماذا لا تغضبون أنتم . لماذا لا تظهر علامة غضب واحدة على شعوب ٤٧ دولة تشترى حكوماتها وتبيع مع الظلمة .. وما زالت . لم تفكر حكومة فى قطع علاقاتها مع القتلة ..

فكيف تنتظرون أن تكون لكم علاقة مع الله وحبل ممدود يستوجب رحمته .

وهناك من ينظرون إلى ما يجرى على المسلمين من وجهة نظر أخرى ويرون فى القضية رأيا آخر .. وهم يقولون أن أوروبا

[illegible] لا تفكر فى القضية من وجهة نظر دينية ولا فرق عندها [illegible] أمر الإسلام كدين أو أن يندثر .. كما أنها لا تفكر فى [illegible] المسيحية أو فى مصير اليهودية . ولا شأن للدين أى دين [illegible] إنما القضية عندها قضية مادية بحتة .. قضية [illegible] سياسية وهيمنة اقتصادية واستئثار بخيرات الأرض [illegible] بثرواتها ومعادنها وخاماتها وأن تكون لها اليد العليا دائما [illegible] بالتقدم فليصلى الأفارقة إلى أى قبلة يشتهونها [illegible] إلها واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو قبيلة من الأصنام . هذا [illegible] لا يشغلها . وإنما الذى يشغلها أن تظل أفريقيا السوداء .. [illegible] ومتخلفة ومتسولة وتابعة وخادمة للشمال الأبيض المتحضر

ومن المبادرة السريعة التى نهضت بها أوروبا وأمريكا إلى [illegible] روسيا والمليارات التى راحت تضخها فى الاقتصاد الروسى المنهار . يرى أصحاب تلك النظرة أن عالم الشمال [illegible] على التعاون معا فى قبيل واحد قوى غنى متقدم .. فهو [illegible] باب السوق الأوروبية لروسيا على مصراعيه لتجلس مع [illegible] الكبار الأغنياء وتملى عليهم مطالبها . فهم فى النهاية أولاد عم يعودون إلى العائلة بعد فراق طويل فيأخذون بعضهم [illegible] بالأحضان . فهم أسرة عصر الذرة والفضاء والكومبيوتر والصواريخ وعليهم أن يتماسكوا ويتفقوا ويتعاونوا فى مواجهة الهمجية والبربرية والفقر والجهل والمرض فى الجنوب .

والخطة إذن هى تقسيم العالم إلى شمال غنى متحضر مرفه يعيش على خيرات صناعة متطورة وجنوب متخلف يعيش على [illegible] الماشية وفلاحة الأرض وحفر الآبار وبيع النفط والخامات

الأولية لأهل الشمال بالسعر البخس الذى يريدونه .. والخطة أن يظل الجنوب سوقا لمنتجات الشمال ومصدرا للعمالة الرخيصة وللخدمة الشاقة وأن يظلوا حمير البشرية المسخرة إلى أن يأذن الله للدنيا بانتهاء .

كل ما حدث أنه تصادف أن كل المسلمين هم سكان القطاع الجنوبى وتصادف أن كانوا هم سكان أفريقيا والهند واندونيسيا والجنوب الأسيوى .. وأن مسلمي الشمال كانوا مجرد جزر معزولة في أوروبا .. رأى أصحابنا أنه من الأفضل إخلاؤها أو إبادة أهلها لأسباب عنصرية وعرقية لا دخل للدين فيها حتى يخلص الشمال بخيراته وحضارته المتقدمة لهم ..

وأنا أقول إنه ربما كانت هذه دوافع البعض . ولكنها قطعا ليست أفكار الكل .. والصراعات الاجتماعية الكبرى للأسف لا يمكن تبسيطها إلى أبيض وأسود وشمال وجنوب وغنى وفقير .. وإنما هناك عوامل كثيرة متداخلة . منها الدين والعنصر والجنس والاقتصاد .. وكلها تعمل معا بشكل مركب ومعقد ويستحيل فصلها عن بعضها .. ولكن تظل النتيجة واحدة وهى الظلم الذى نراه .. وعملية الإبادة البربرية التى نشهدها . والتى هى شاهدة على بربرية الشمال وعلى التخلف الإنسانى والخلقى عند من يدعون التحضر والرقى .

ولا شك أن الحرب الاقتصادية واردة بدليل إلغاء التعريفة الجمركية بالنسبة لصادراتنا العربية إلى أوروبا بحكم اتفاقية الجات وهو ما سوف يؤدى إلى خسائر عربية أكثر من مليار ونصف دولار وإلى تراجع وتعثر مجهودات التنمية في بلادنا .. ولكن ما يجرى في البوسنة والهرسك هو صراع عرقي وديني

معا وما يجرى فى كشمير والهند صراع دينى بحت فكلهم هنود كل الفرق أن بعضهم أسلم والبعض الآخر ما زال هندوكيا وما جرى فى لبنان بطول ست عشرة سنة كان صراعا دينيا بين لبنانيين مسلمين ومسيحيين وأحيانا كان طائفيا بين مارون وكتائب كليهما مسيحى لبنانى .. أما فى آسيا فالصراع يجرى بين أغلبية من الروس وأقلية من الشيشان ومدار الصراع هو آبار النفط فى القوقاز فى المقام الأول .. وهذا لا ينفى أنها حرب دينية عنصرية فى نفس الوقت .

وجميع العوامل متشابكة فيما يجرى الآن من مذابح والعنصر الدينى مشترك فى أكثرها ولكن النتيجة واحدة رغم اختلاف التفاسير وهى حرص الأقوياء على أن نظل حميرا مسخرين لهم إلى الأبد .

هل هو حقد دينى أو حقد طبقى أو حقد عنصرى أو هو حقد شامل مركب أو حرب مصالح وما نسبة الحقد الدينى فى هذه النار المشتعلة .. هذا أمر سوف تكشفه الحوادث وسوف يجليه المستقبل وما سيجرى فيه من أهوال .

ولعل هذه هى الحكمة فى أن الله يمد لهؤلاء الظالمين .. لكى يخرج أضغانهم ويكشف المكتوم من سرائرهم حتى لا يدعى أحدهم ساعة الحساب . أنه فعل ما فعل من أجل أن يضمن لأولاده مستوى معيشة أحسن (وهو التفسير الاقتصادى الذى يقول به البعض) .

وهل من أجل مستوى المعيشة الأحسن يبقر هؤلاء الناس بطون الحوامل وينزعون أظافر الأطفال ويغتصبون العذارى ويحرقون النساء أحياء ..؟؟!!

لا يمكن أن يكون هذا حقدا طبقيا .. ولا صراعا اقتصاديا من أى لون .

إن طفيل البلهارسيا يحرص على بقاء العائل الذى يستغله ويمتص دمه وهكذا الرأسمالى ليس فى مذهبه الإبادة ولا إحراق العمال أحياء لأنه ينتفع بحياتهم .. بل نحن أمام تصفيات دينية بالدرجة الأولى .

ولماذا هدم المساجد وتدميرها على المسلمين وهم يصلون صلوات الجماعة (كما حدث فى سراييفو) إن لم تكن الحرب دينية . وليس مسجدا واحدا أو اثنين أو ثلاثة .. وإنما ثمانمائة مسجد سووها بالأرض .

والأطماع المادية واردة لكنها ليست هى التى أشعلت تلك الأحقاد . والنزاعت العرقية واردة ولكنها ليست كل شىء ..

إن الحقد الدينى يطل برأسه من وراء الحوادث .

والمخطط فى النهاية واحد ونتيجته واحدة مهما اختلفت التفاسير .

وكل يوم نعرف أكثر ونتعلم أكثر ويظهر المكتوم أكثر وأكثر .

والله يمد فى البلاء ليكشف قلوب هؤلاء الناس ودوافعهم وليفضح الميثاق الذى يجمعهم .

والجدل فى النظريات ترف والبحث فى فقه الحرب مضيعة للوقت والأولى بنا أن نفكر فيما نصنع فالرصاص ينطلق حولنا من كل مكان ولن ينفعنا أن نعرف أسماء الشياطين الذين يطلقون الرصاص ونعلم دوافعهم وإنما المهمة العاجلة هى كيف نتجنب شرهم ونبطل مكائدهم ثم كيف نجد الرباط الذى يوحدنا والأرض المشتركة التى تجمعنا كمصريين مسلمين ونصارى فى

[illegible] تلك الهجمة الشرسة التى هى فى حقيقتها هجمة [illegible] انتماءها لأى مسيح ومهما انتسبت كذبا لأى [illegible]

وفى النهاية نحن أولى الناس بمحمد والمسيح .

[illegible] أرض الأنبياء ومنبت التوحيد ومشرق الفضائل ومولد [illegible] كتب أول الألواح ونزلت أولى الوصايا وفى رحباتها [illegible] أفلاطون فى عالم المثل وتدارس مع علماء مصر فى جامعة [illegible] شمس »

[illegible] مصر فى تاريخها حقدا عرقيا ولا تعصبا عنصريا [illegible] منصهرة متلاحمة من عديد من الأعراق [illegible] تعيش معا بلا تمايز وبلا تفرقة وقد مثلت كل [illegible] التفرقة وكل أساليب الدس والوقيعة بين أهلها .

وهى فى حفظ من الله الذى ذكرها فى قرآنه بالاسم والإشارة أربع عشرة مرة .. وفى رباط إلى أن تقوم الساعة .

الاستعمار اللغوى

اللافتات وأسماء المحلات فى الشارع المصرى تكاد تختفى منها اللغة العربية وحيثما ذهبت بعينيك لا ترى إلا أسماء فرنسية أو إنجليزية أو إيطالية على اليمين وعلى اليسار غزو ثقافى مكتسح .. أوتيل كونتيننتال .. رستوران أورينتال . بوتيك شارم .. بيتزا ايطاليانو .. عصير مادونا .. حلوانى دليشس . كافيه كابوتشينو .. آيس كريم تاون .. كويك فود . كوافير رومانتيك .. عجلاتى كويك رن . ميكانيكى ستاندرد .. سراير هاى لايف .. ترزى شيك . أزياء مودرنا .. الخ .. الخ .. ولا تجد هذا أبدا فى المساجد وإنما تجد الأسماء العربية والعربية الفصحى مسجد الرحمة .. ومسجد الرحمن .. ومسجد التقوى .. ومسجد

الرضوان .. ومسجد قباء .. ومسجد محمود .. ومسجد التوبة .. ومسجد المغفرة ..

الإسلام هو الذى حفظ هوية المنطقة .. وهو الذى ما زال يضبط النطق العربى . وفى هذه الفوضى من التفرنج والإغتراب كان المسجد هو مؤشر الأصالة والحافظ للطابع والميراث العربى .

وما زلت أعتقد أن الدين هو الذى حفظ المنطقة من الضياع والانسلاخ والتلون باللون الذى أراده المستعمرون

وكان من نتيجة هذا العامل الدينى الضابط للإيقاع .. أن حدث العكس ورأينا المستعمر هو الذى يتلون باللون العربى ويتشرب الذوق المصرى ويتعلم اللهجة المصرية والنكتة المصرية والأكلة المصرية

ونذكر أن الاسكندر حينما غزا مصر لم يستطع أن ينقل إليها آلهة الأولمب اليونانية وإنما على العكس ألبسه كهنة سيوه ديانة آمون وخرج من معبد سيوه على اعتقاد أنه ابن الإله المصرى الذى حملت به أمه المقدونية . وكلها أدلة على سلطان الدين وقوته فى مصر .. وأن مصر تصبغ الذى يغزوها رغم ما يبدو فى ظاهر الشارع المصرى أنها هى التى تصطبغ بلونه .

والحقيقة أن الغزو الثقافى رغم ضراوته لم يتجاوز القشرة الرقيقة الخارجية التى ما تلبث أن تتمزق أمام أى عارض وتظهر من تحتها الماهية والهوية الدينية الأصيلة لهذا البلد العريق .

والحضور الإسلامى يفرض نفسه هذه الأيام .

ونحن نرى الآن الهوية الإسلامية تملأ الساحة بكل درجات الطيف من الحضور الإسلامى الواعى والمستنير إلى التشدد

والتطرف إلى الهوس إلى الإغراق فى الشكليات والتصلب على الشعارات إلى الجنون والفوبيا الدينية

والهوس والتدين الشكلى والنقاب والقفازات والعباءات السود هى فى نظرى غزو ثقافى آخر مضاد وهو أجنبى عنا وعن إسلامنا بقدر غربة وأجنبية العرى الفرنسى والثقافات الأمريكية المنحلة .

وهو سلاح مسدد لغزو الإسلام من داخله مثلما أن الثقافات الأمريكية المنحلة سلاح مسدد لهدم الإسلام من خارجه . والفرق أنه غزو للبيت من بابه غزو يستعمل نفس الأبجدية الإسلامية ويستخدم نفس الرموز الدينية ويدخل علينا من الشرق وليس من الغرب ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ولا إله إلا الله كما نقول .

وجماعة البلاليين فى أمريكا (نسبة إلى بلال) الذين يركبون البغلة اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام ويأكلون بأصابعهم ويقضون الحاجة فى الخلاء هم نموذج آخر من هذا الهراء الذى يسىء إلى الإسلام ويدعو إلى الفهم الخاطىء والمتخلف لمعنى السنة المحمدية .. فالنبى عليه الصلاة والسلام لم يتميز عن أقرانه بركوب البغال فالكل كانوا يركبون الدواب وكانوا يقضون الحاجة فى الخلاء وكانوا يأكلون بأصابعهم وإنما تميز وانفرد بالصدق والأمانة والشجاعة والشهامة والتقوى ومكارم الأخلاق وفى هذا يكون الاقتداء وليس فى البغال وفى الأكل بالأصابع وفى قضاء الحاجة فى الخلاء . وليس فى ذلك السخف أى سنة وإنما هو غزو ثقافى مضاد يستخف بالإسلام ويهزأ من السنة ويضحك على العقول .

وكل هذه التيارات المتناقضة تموج بها دوامة الشارع هذه الأيام .

ولا يدرى بعض دعاة الإسلام أنهم دعاة ضد الإسلام من حيث لا يشعرون .

ويختلط الحابل بالنابل وتختلط الأوراق على ضعفاء النفوس

ولا ننسى الغزو الآخر الجهير القادم من الشمال فى سينما الجنس والعنف ومسرح الهزل والفحش وغناء الديسكو وموسيقى الراب والهلوسات التشكيلية التى تدلق الألوان على اللوحات وتسميها جماليات سيريالية وتضع كومة من الزلط وتسميها نحتا وتجمع زبالة من الحديد الصدىء وتسميها تمثالا ..

ثم الغزو الثقافى الآخر فى الشعر . والمذاهب الجديدة فى الكلام بلا نظم والإغراب لمجرد الإغراب .. والأبيات التى بلا نحو ولا إعراب وأنواع اللغة التى فقدت تواصل اللغة ووظائف اللغة . وقصيدة ج وأمثالها .

ثم الغزو الآخر الفاجر فى الرواية الجديدة لسلمان رشدى آيات شيطانية ، الذى تصور فيها أنه أتى بإبداع جديد فى عالم الرواية وما أتى إلا بأحقاده الشيطانية وما عبر إلا عن مرضه النفسى

ومصر بلد مفتوحة النوافذ على ثلاث قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا وهى لا تستطيع أن تغلق أبوابها لأنها جسر عبور وممر تجارى وثقافى وحضارى وملتقى زوابع .

وهى بلد غنية بسواحلها وآثارها وبترولها ومعادنها وناسها وتاريخها .

وهى مطمع الكل ..

وفيما مضى كان يغزوها العسكر وتفتحها الجيوش أما الآن فالغزو اقتصادى وثقافى وهو يدخل من باب الصحيفة والكتاب وشاشة السينما وشاشة التليفزيون . ويحكم من داخل صندوق

النقد الدولى . ويسيطر من خانة القروض والفوائد . ويتسلل من ثغرة التكدس السكانى ومن الحاجة إلى القمح والرغيف .

والجيوش الآن جيوش خفية اسمها الموساد . والـ CIA والماسونية . والمخدرات .. والإرهاب .. والقنابل . والمتفجرات .

والتآمر الآن يستعمل نوعا جديدا من العمالة الراقية . هم وجهاء الناس وكبراؤهم وسادتهم وأغنياؤهم . كما يستعمل نوعا آخر من العمالة الدون يدربها على القتل وتفجير القنابل وتلغيم العربات

وفى هذه الأحواء العنكبوتية يعيش المواطن المصرى

وفى هذا العصر المرعب يعيش العالم المقبل على فواتح القرن الواحد والعشرين .

والمتابع للأخبار والقارىء للصحف يصاب بضغط الدم والذبحة والحلطة والاكتئاب لكثرة ما يقرأ ويشاهد من الانفجارات والثورات والانقلابات وعجائب الجرائم وأحداث القسوة والعنف التى تشيب لها الرؤوس وكأنما اختفى الضمير فجاة وتحول البشر إلى قطيع من الحيوانات .

وتتكلم دول كبرى عن حقوق الإنسان وهى ذاتها تدوس على عنق هذا الإنسان بالحذاء .. ووسط هذا الجنون لا شىء يمسك على الإنسان عقله ويعيد بعض الهدوء إلى قلبه المرتاع الملتاع سوى بقية من دين وبصيص من إيمان عميق وإسلام صادق منقاد لقضاء الله وقدره واثق بحكمته المستترة الخافية من وراء كل شىء ..

منى مبدأ التاريخ البشرى ومنذ آلاف السنين أيام سيدنا لوط ظهرت قبيلة شاذة من البشر انحرفت بشهواتها إلى حب الذكور دون الإناث وآثر كل جنس الجنس الذى يماثله .. الذكر يطلب الذكر والأنثى تطلب الأنثى وكان هذا أول تمرد على الطبيعة وعلى خالق الطبيعة فقد جعلوا من الشهوة هدفا يطلبونه لذاته وليس للإخصاب أو الإنجاب .. وإنما لمجرد إفراغ الشهوة وقضاء الوطر ومتعة اللحظة .

وكان معنى هذا تعطيل سنة الإنجاب والتكاثر التى أرادها الله ليخرج من نسل آدم وحواء ملايين وبلايين الخلق ليعمروا الأرض

وهم بهذا العصيان ردوا الصنعة على الصانع واختاروا هوى نفوسهم .

وكان الرد الإلهى هو إبادتهم . لم يمهلهم الله ليوم الحساب شأن العصاة العاديين . لأن هذا التمرد لو أنه ساد وانتشر سوف يمنع المقدور من أمر الله فكان لابد من استئصالهم وكان ما حدث من رجمهم وإبادتهم بما يشبه القنبلة الذرية هو ختام القصة .. واختفت هذه القبيلة من على وجه الأرض .

ودار التاريخ دورته لتستمر سنة الله فى التزاوج والإنجاب وليصل عدد البشر إلى ستة آلاف مليون منذ أيام ..

وفى الأواخر من هذا القرن عادت سنة الشذوذ إلى الظهور

وهذه المرة تركهم الله لحالهم لأن سنة الله قد تمت واقتربت دورة البشرية من ختامها وأشرف الكون على شيخوخته وليس فى مراد الخالق الإتيان بملايين جدد .

ورأينا المجتمعات العلمانية تفتح أبوابها لهؤلاء الشواذ .. فأمريكا سمحت لهم بدخول الجيش وفرنسا وضعت قوانين جديدة تسمح بزواج الرجل بالرجل وزواج المرأة بالمرأة . وظهرت كنائس فى أوروبا توفق بين هذه الرؤوس فى الحلال وتنظيم الميراث والتعامل والزواج والطلاق .

وسيكون انتشار هذه القبيلة معناه توقف الإنجاب وإصابة الأمم بالعقم ثم الفناء والانقراض . وسوف يكون معناه أن يرث المستضعفون من المهاجرين السود والشعوب الصفراء أرض أمريكا وأوروبا التى يعملون فيها كشغالة وأجراء .

إنهم لا يدرون فى أمريكا وأوروبا أن العقاب هذه المرة سيكون إبادة من نوع آخر . إبادة اختيارية بانتحار الجنس الأمريكى

والجنس الأوروبى كله وذلك بالعزوف عن وضع الشهوة فى وضعها وإهدارها فى عمليات جنسية غير مثمرة .

وسيكون انتشار هذا الداء هو علامة النهاية لهم ثم للدنيا كلها وللكون الذى أشرف على شيخوخته ..

هل يدرك هؤلاء الشواذ أنهم ينتحرون وينحرون ذرياتهم معهم

لا أظن . فقد قال الله لنبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام بصددهم .

﴿ لعمرك .. إنهم لفى سكرتهم يعمهون ﴾ هكذا جاء فى القرآن وما زالوا تنطبق عليهم الآية فهم فى سكرتهم يعمهون

ويظنون فى سكرتهم أنهم هم الذين يعيشون الحياة بطولها وعرضها وأننا نحن المحرومون المغفلون .

وهكذا يظن اللص الذى يهرب بغنيمته والقاتل الذى يهرب بجريمته وشاهد الزور الذى يفلت بفعلته وسارق اللذة الذى يفوز بلذته والخائن الذى يكسب بخيانته . يظن كل هؤلاء أنهم الأذكياء الفائزون الرابحون الذى اهتبلوا الفرصة وفازوا بطيبات هذه الدنيا وتركوا لنا الآخرة بجناتها ونعيمها .. وما يرون فى هذا النعيم إلا أساطير وأحلام يقظة وخيالا وأمانى لا وجود لها . فما بعد الموت إلا التراب وكل وعود الأديان أساطير وأوهام .

ولم يمت أحد منهم ليرجع ويقول لنا القول القاطع . والموت حتم مطلسم والطريق إليه أحادى الاتجاه والذاهب فيه لا يعود ..

وسيظل السؤال مفتوحا وعلامة الاستفهام قائمة . والموقف كفر أو إيمان ؟!! ولا احتمال ثالث .

لكن ألا يثير التأمل والتدبر فى مصير هؤلاء الشواذ ؟!! أن الله

حكم عليهم بالإبادة فى القديم .. وحكموا هم على أنفسهم بالإبادة فى أجيالهم اللاحقة . فنسلهم منقطع وعقبهم مقطوع .

والذى يفكر فى الاستنساخ منهم فإنه بحاجة إلى بويضة ليحقق الاستنساخ ولا بويضة إلا بأنثى .

فالحكم بالإبادة صدر وليس من الله بد . فهم بائدون بالعقم لا محالة .

وفى ذلك برهان إلهى ودليل ربانى على فساد قضيتهم .

لكن لا أحد منهم يفكر . وإنما الواحد منهم يشتهى فقط

إنه شهوة مقطوعة الرأس .

وعقل سقط منه المنطق .

ما سر كل هذه الحفاوة بالشواذ فى الغرب ؟؟!!..

هذه حكاية أخرى .. فلهم فى الغرب جمعيات ونواد ونقابات وتنظيمات .. وإعلام .. وصحف .. وأفلام . وحكاية كبيرة .

ومن وراء الفساد . إفساد منظم .. وفنون مكرسة لهذا الإفساد .

وللشيطان دولة وراء الدولة .

ولقد قامت دولة الشيطان منذ آدم .. حينما قال لربه فى تبجح .. أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين .. حينما تكبر ابن النار على ابن الطين وأراد أن تكون له اليد العليا .

قامت دولة النار من ساعتها .. ورايتها .. « الكبر » .. وشعارها .. الأنا .

وقد دخلت إسرائيل تحت هذا اللواء حينما اعتقد شعبها أنه المختار من الله المفضل على العالمين .

وتحت لواء « الكبر » التقى كل الأشقياء من البشر .

وأهل الشقاء ملة واحدة وهى ملة الاعتراض .. والاختلاف .

وما كان الكل إلا أمة واحدة فاختلفوا .

وما يزالون مختلفين إلا من رحم ربك .

وقد تركنا الله نختلف . فقد خلقنا مختارين وأرادنا مختارين . به باختيارنا أو نعرض عنه باختيارنا .. وعلى هذا يقوم مبدأ الحساب فلا حساب إلا لمختار .

وخلق الله الملائكة التى تلهم بالخير كما خلق الشياطين التى تلهم بالشر .

ونحن لا نتلقى الإيحاء من جهة واحدة وإنما من جهتين فى وقت واحد .

وتستجيب نفوسنا حسب هواها للخاطر الملائكى الآتى من اليمين أو للوسواس الشيطانى الآتى من الشمال بما يلائم اختيارنا الباطن وبما يشاكل حقيقتنا .

ثم يأتى الفعل كالبصمة ليؤكد هذه الحقيقة ويسجلها فى كتاب الأعمال .

ويقول القرآن إن هناك « نسخا » من هذا الكتاب .

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية . ٢٩]

فقد أراد الله أن يسجل علينا كل شىء .. وكلها أمور تدل على أن هناك وقفة حساب وأن هناك حكومة إلهية سوف تفصل فى مصائرنا وأن الحياة لم تخلق سدى .

وصوت الضمير الفطرى فى داخلنا يحذرنا طول الوقت من هذا المصير وهو شاهد لا يكذب .. إنها ليست تمثيلية ولكنها مشاعر حية معاشة يشعر بها كل منا فى باطنه .

والكواكب التى تجرى فى أفلاكها منذ الأزل والنجوم التى

تسبح فى مداراتها من بلايين السنين والشموس التى تشرق وتغرب بحساب دقيق وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم البحار تشهد كلها بإدارة مذهلة وخالق عليم حكيم لا تفوته فائتة فكيف يهرب مجرم من حسابه . وأين يهرب والكون كله ملك لله بلا شريك . وعين الله ساهرة لا تنام ويد الله تطول كل مخلوق وهو الخالق بكلمة والمميت بكلمة والرازق بكلمة وهو الذى يسير الزلازل ويفجر البراكين ويرسل الصواعق وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء محيط فأين منه المهرب .. وأين منه الفرار وأين يكون ذلك الفرار والعالم كله عالمه والملك كله ملكه وعينه ساهرة لا تنام ..

إن الإيمان موروث فطرى بسيط

والكفر يحتاج إلى افتعال وعناد بحجم الجبال وتعامٍ عن حقائق كالنور وضوحا .

وكان الإنسان أكثر شيء جدلا .

وقد غرق أصحابنا فى الجدل وتعاموا عن أمور كالصبح فى إشراقها وخلقوا لانفسهم فلسفات وافتعلوا المبررات

والكافر معاند ومكذب ومتمرد وخارج عن الصف بطبيعته .

والشذوذ كله ملة واحدة .

وصراع قابيل وهابيل مستمر من الازل وهو الآن حروب مشتعلة وترسانات نووية وأسلحة كيميائية وميكروبية . وإرهاب ورعب دائم نطالعه كل يوم أول ما نفتح عيوننا على الصحيفة اليومية وأول ما نفتح آذاننا على الأخبار .

ومراد الله بهذا أن يكون كل يوم من أيامنا امتحانا وكل لحظة ابتلاء.

وقد أجمع العالم شرقه وغربه على اتهام الإسلام بأنه السبب فى كل هذه القلاقل والموجات الإرهابية واتخذوا لانفسهم دمية من

القطن يضربونها ويسددون لها السهام .. هى المسلم الغلبان فى كل مكان .

وقال نيكسون انتهت الشيوعية ولم يعد لنا عدو سوى الإسلام .

وفى اللحظة التى اكتب فيها هذه السطور تكتسح الدبابات الروسية أراضى الشيشان وتمطر جروزنى بالصواريخ .. وتستنجد الشيشان بالدول الإسلامية ولا مجيب فالمسلم الغلبان كثير الصياح كثير الكلام كثير الاعتراض قليل الأفعال والعرب لا يجتمعون على رأى .

ولا اجد سوى دعاء موسى لربه حينما حاصره الفراعين والربانية قساة القلوب

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨]

وبين ألف مليون مسلم سوف يوجد ولا شك مسلم واحد مقبول الدعاء والأمل فى الله كبير .

ويزداد الإقبال على الإسلام فى الغرب ويتضاعف أعداد الداخلين فى الإسلام كل يوم رغم انكسار شوكة المسلمين وتفرقهم وهوانهم .. وهو أمر غير مفهوم .. ولله فى ذلك حكمة فهو يقيم حجته على الكفار فله سبحانه الحجة البالغة

وانتشار الإسلام والإقبال عليه فى هذه الظروف هو اللامعقول بعينه وهو الحجة البالغة بعينها وهو اللمسة الإلهية الحانية التى يمر بها على قلوب الضعفاء لتطمئن .. وكأنما يقول للمسلمين المخذولين أنا معكم فلا تهنوا ولا تضعفوا وأنتم الأعلون .

تعاليت يا ربنا لا إله إلا أنت .

الأصنام الجديدة

لكل زمن معبوداته وأصنامه وآلهته .

فى مصر فى الزمن القديم كان رع وآمون وحورس .. وفى الجزيرة العربية قبل الإسلام .. كانت اللات والعزى ومناة .. وفى فلسطين .. بعل .. ثم جاء زماننا وزمان الاستعمار ومعه طاغوت « الرأسمالية » .. ثم جاءت أمريكا ومعها«العولمة».. والنظام العالمى الجديد .. واقتصاد السوق .. وصندوق النقد الدولى . وهى آلهة آخر الزمان وأحدث إبداعات العقل الاستعمارى للسيطرة على ثروات المنطقة وخيراتها .. هذه المرة مصوغة فى صياغات عقلانية تناسب عصر الحداثة وزمان الكومبيوتر .. ولكنها نفس القوالب .. ونفس الأسباب التى يستهوون بها العقل .. ونفس المنطق الذى

يلمسون به الإقناع باستخدام مفردات العصر ورموزه يساعدهم فى ذلك إعلام مفترس يدخل كل بيت وفضائيات تقتحم أى حدود بلا استئذان وصحف تعمل فى خدمتهم ليل نهار .

وترى المثقف يضع ساقا على ساق ويتحدث عن خفايا العولمة وأسرارها ولا أسرار هناك فهى لا تعنى سوى الأمركة والسيطرة الأمريكية فى عصر التكتلات الكبرى وانضواء الضعفاء تحت جناح الأقوياء وتآكل الأرض التى يقفون عليها وإسلامهم مقدراتهم للإله الأمريكى الجديد . وباللغة الصحفية .. الراعى الأمريكى . نوع جديد من العبودية فى قالب مهذب ولطيف .

وقد شاهدنا كيف ثار العمال فى سياتل على هذه العبودية الجديدة وأمطروا رجالها بالحجارة وكيف هدموا المعبد « العولمى » على من فيه .. وكيف جاء هذا الرد فوريا وصاعقا . وشاهدنا مظاهرات واشنطن منذ أيام وهتاف الفقراء بإسقاط ٢٠٠ مليار دولار ديون ٤١ دولة فقيرة .

وما يحدث هو تخطيط أمريكى شكلا ولكنه صهيونى حقيقة .. وما أمريكا سوى الأداة الظاهرة . ولكن الأيدى فى داخل القفاز صهيونية والفكر صهيونى .

والذين أقاموا هذا المعبد « العولمى » ووضعوا طقوسه وتراتيله هم اليهود .

والذين وضعوا هذا المصطلح (النظام العالمى الجديد) novus Ordo Seclorum .. وهم اليهود (عصابة روتشيلد) وهم الذين صكوا هذا الاسم على ظهر ورقة الدولار .. من قبل أن يعلنه بوش بعد غزو العراق .. وبوش نفسه أحد رجالهم .. حدث هذا من مئات السنين .

والتآمر على العالم مبيت من مئات السنين .

وإذا قلبت ورقة « الدولار الواحد » على ظهرها سوف ترى الهرم والعين الماسونية وكلمة النظام العالمى الجديد باللاتينية تحت قاعدة الهرم novus Ordo Seclorum .

والسيادة على العالم من خلال السيطرة على الاقتصاد والتحكم فى خيرات الشعوب ونهب ثرواتها هو تخطيط قديم رسمه اليهود الكبار أصحاب البروتوكولات .

والمصطلحات الجديدة مثل العولمة واقتصاد السوق وصندوق النقد الدولى والنظام العالمى الجديد هى أسماء الأوثان الجديدة والأصنام التى سوف يحرق لها البخور وتقدم القرابين .

والقرابين هى الشعوب الفقيرة فى أفريقيا وآسيا وهم العمال والكادحون باللقمة فى كل مكان .

والبند الثانى فى البروتوكولات كان إغراق العالم فى الفساد وشغل العبيد فى شهواتهم حتى لا يفيقوا وحتى لا ينتبهوا إلى ما يراد بهم .

وفضائيات أوروبا التى تذيع العملية الجنسية بتفاصيلها وتبثها بالصوت والصورة والألوان على شباب العالم شاهد على ما أقول

وطوفان المخدرات وعصابات دعارة الأطفال وشبكات الانترنت التى تعرض الأطفال عرايا ليختار الزبون ما يريد .. والنوافذ المتخصصة التى يدخل إليها هواة العلاقات الجنسية ليختار كل شاب الخليلة التى تلائم مزاجه .. بما يشمل التليفونات والعناوين .. وضمان السرية والكتمان .. والداخل إلى هذه المواقع على الانترنت لا يستطيع أن يخرج منها .

لقد جعلوا من العالم فى أعلى صوره « قواداً » هكذا فى فجور صريح .

هل هذه عولمة بمعنى توحيد العالم والارتقاء به أم هى عولمة بهدف إفساد العالم وتدميره .

هل هى عولمة بمعنى توعية الشباب أم هى عولمة بمعنى التآمر عليه

إنهم يقولون إننا نقدم كل شىء الدعارة والتجارة والعلوم المتخصصة والفلسفة والسياسة والأخلاق حتى القرآن وتفسيره والأحاديث النبوية ورواتها حتى أذان الصلاة ومواعيدها فما ذنبنا إذا ترك الشباب كل هذه المائدة العامرة بالتقوى وبالعلوم الجمة واختار لنفسه سهرات الطبل والزمر والهلس .. إنه فاسد بطبيعته .. وبدون الانترنت سوف يلجأ إلى هذه السهرات نحن لم نضلل هذا الشباب بل فضحناه

وهو نفس منطق القائلين وهل أخطأنا أننا وجدنا حمارا فركبناه وهل يصلح الحمار إلا للركوب وهم بهذا ينكرون التخطيط الماكر من البداية التخطيط لاستغلال الضعفاء ونصب الشراك والفخاخ للإيقاع بالضحايا ..

إن ما تبطن النفوس هو الموضوع . والنوايا هى لباب الأمر والله من أجل هذه النوايا خلق الجنة والجحيم ولن يستطيع أحد أن يخدع الخالق الذى خلق الدنيا ومفاتنها لاختبار القلوب وبواطنها .

إننا لا ننكر أنهم أذكياء وربما عباقرة .

وكذلك الأبالسة لهم ذكاؤهم ولكن أى ذكاء هو إنه ذكاء شرير ولن يستطيع أحد فى النهاية أن يمكر برب الكون وخالقه العليم بالخفايا والنوايا والبواطن الذى أحاط بكل شىء رحمه وعلما ..

والقيامة والحساب موعدهم . ولهم يوم لن يخلفوه

وحقيقة الأمر انهم لا يؤمنون بآخرة ولا بقيامة ولا بإله خالق عليم قدير ولهذا أقاموا انفسهم آلهة وحكاما وخططوا للسيادة على الكون ونهب ثرواته وإفساد شبابه .

ورسموا وخططوا كل شيء بعناية ومهارة .

واختاروا أغنى وأقوى دولة لتكون ظهيرهم ..

ورسموا على الصين لتكون حليفا احتياطيا .. وسربوا إليها بعض الأسرار واحتجت أمريكا وهددت وتوعدت وسجنت الجاسوس بولار الذى سرب الأسرار إلى الصين . ولم تطلقه إلى الآن رغم الشفاعات والضغوط والوساطات .

وعادت إسرائيل تغازل الصين بصفقة طائرات الأواكس ..

وعادت أمريكا للتحذير .

ومن الواضح أن إسرائيل تريد أن تضم الكبار لصفها وأن تضمن لنفسها مصادر متعددة للقوة .

ومن الواضح أن لها أطماعاً ولها تخطيطاً بعيداً وانها ترسم للسيادة على العالم بالفعل .

فهل تنجح ..؟!!

إنها رواية خطيرة سوف نشهد فصولها من كراسى أعلى التياترو مع رواد الدرجة الثالثة من الشعوب الفقيرة .

ومعنا كل الشعوب النامية ومعنا كل الدول الكبرى شهود هذه الرواية العظمى فى تجمع تاريخى لم يحدث من قبل فى أكبر عرض لأحداث نهاية الصراع الذى بدأته إسرائيل منذ قرون كيف يتطور . وكيف ينتهى وأى نهاية سوف يختارها الله لهذا الصراع الدامى ؟!! ومن سيكون أبطاله ومن سيكون وقوده ؟!

أخيرا .. سوف تأتى الإجابة .

وسوف نعرف كل شيء ..

سواح.. في دنيا الله

العصابة

فى وثيقة مؤتمر السكان وفى تعريف الغرب للصحة الجنسية ما يستحق أن نقف عنده .. تقول الوثيقة .. الجنس كالغذاء والإشباع الجنسى كإشباع الجوع حق للجميع أزواجا وغير أزواج فتيانا وفتيات وعلى جميع الدول أن تسعى لتوفيره فى موعد اقصاه عام ألفين وخمسة عشر (٢٠١٥) والمقصود طبعا إسقاطه من قائمة المحرمات وإشاعته للجميع كحق أولى من حقوق الإنسان فلا يقتصر هذا الحق على المتزوجين وإنما يصبح حقا عاما مشاعا للكل .. وإنما يأتى الحجر فى الوثيقة على الزواج المبكر الذى تنص الوثيقة على منعه وذلك بتوفير البديل بإشاعة الإشباع الجنسى لكل مراهق ومراهقة وعلى المؤسسات الدينية

ووسائل الإعلام والمدارس وعلى العائلة فى محيطها المحدود حماية هذا الحق والتمكين له وإشاعته .

ونعلم جميعا أن مؤتمر السكان كان أول منبر تكشف فيه العولمة عن وجهها الخبيث ونياتها   وكان التبرير المعلن هو مواجهة الانفجار السكانى وعدم كفاية الموارد لإطعام الأفواه التى تتضاعف عددا كل سنة   ولهذا كان الكلام عن إباحة الإجهاض وتحريم الزواج المبكر وفتح باب المجتمع للمرأة العاملة والنص على مسئولية الأزواج فى الأعمال المنزلية وشغل البيت ورعاية الأطفال وإلغاء قوانين الشريعة التى تقف فى وجه هذا التطوير وتعديل المواريث بحيث يتساوى نصيب المرأة والرجل فى الميراث بدعوى المساواة والمحافظة على حقوق المرأة .

وجاءت موجة الفضائيات لتشيع العرى وتذيع العملية الجنسية والفحش المعلن طول الليل لتؤكد هذا الاتجاه وترسخ هذه الموجة الانحلالية فى العالم كله شرقه وغربه وتكشف الأغراض الخبيثة من وراء الخطة التى تدعى الحرص على إطعام الأفواه الجائعة

وجاءت قوانين « الجات » لتحرير التجارة الخارجية من جميع الرسوم الجمركية وتوحيد الأسواق ودمج الشركات فى مؤسسات عملاقة لتكون الضربة الأخيرة القاصية لاقتصاد الدول الصغرى

وبسقوط الحماية الجمركية سقط الحصن الأخير الذى كانت الدول الصغرى تحمى به انتاجها وصناعاتها وأصبحت عارية مكشوفة أمام الإنتاج المكتسح والعملاق للدول الكبرى وغول الاستعمار الذى لا يرحم وجاءت الشركات الكبرى والمؤسسات متعددة الجنسيات التى أصبح بإمكانها احتكار الانتاج والتحكم

فى الأسعار والتسويق والتجارة على المستوى العالمى لتنفرد بالسيطرة على اقتصاد العالم كله .. وبعكس الحجة التى كانوا يتذرعون بها . أنهم جاءوا للقضاء على الاحتكار   ظهر أنهم ما جاءوا إلا ليحققوا لأنفسهم ولفريقهم أعلى وأسوأ احتكار يقضون به على إنتاج الدول الضعيفة وأسواقها فى قضمة واحدة ولا يبقون لها إلا الفتات .

وانفجرت ثورة العبيد فى سياتل   وأعقبتها المظاهرات الكاسحة فى مؤتمر التجارة والتنمية « أونكتاد » الذى عقد أخيرا فى تايلاند   وكانت المظاهرات تهتف بإلغاء الجات   وبإلغاء المنظمة الدولية من أساسها وبسقوط العولمة التى تدعو إلى ترسيخ الظلم والاستعباد فى العالم كله

الآن اتضح أنها لم تكن عولمة بمعنى الدعوة إلى عالم واحد تتساوى فيه الحقوق والواجبات   وإنما كانت دعوة إلى غابة يؤكل فيها الضعفاء وينفرد فيها الأقوياء بالحكم وبالسيطرة والقهر والاستغلال دون أن يستطيع الضعيف أن يصرخ أو يتألم أو يرفع صوته .

وقد بدأ التحايل من البداية   حينما صور لنا الكبار أن الزواج وكثرة الإنجاب وراء الانفجار السكانى وأن هذا سوف يؤدى إلى عدم كفاية الموارد لإطعام الأفواه التى تتضاعف عددا كل يوم وأن الرزق لن يكفى لسد حاجة البشر   وأنه لابد من تحديد النسل وتشجيع الانحلال والعلاقات الحرة لعلاج المشكلة التى تتفاقم يوما بعد يوم   وكأنهم هم الرازق الوحيد للبشر والمسئولون عن تدبير الأقوات .

نسوا تماما أن الله الذى خلق الأرض وما عليها وخلق الكون كله

من قبل أن يولدوا . كان وسيظل هو الرزاق الوحيد .. وأن أجيالهم ستنتهى وتفنى كما جاءت وستأتى أجيال أخرى وأخرى يرزقها الرب الذى خلقها أو يأخذها بذنوبها إذا أراد .. وأن عولمة هؤلاء العلماء مجرد فقاعة من الكلام الفارغ سوف تنفجر إلى لا شىء . وإذا أراد الله أن يجوعوا ويموتوا جوعا رغم كل هذه الفلسفة فسوف يجوعون ويموتون جوعاً برغم العولمة

وكم من عطشان مات عطشا وحوله براميل الماء بلا عدد لأن جسمه فقد القدرة على الاستفادة من الماء .. ولن ينفعه الماء ولو شرب المحيط .

عدم الإيمان والكفر الكامل الشامل والغرور بعلمهم المحدود . والرغبة فى السيادة على الدنيا والتحكم فى الخلق والسيطرة المطلقة على الأرض .. والطمع الأعمى الذى يطمس على القلب ويسد منافذ العقل .. كان السبب وكان الامتحان الذى سقطوا فيه كلهم . لقد ظنوا أنهم أصبحوا صناع كل شىء وأنهم الأوصياء على الدنيا .

ألم يصنعوا الأقمار ويلقوا بها فى الفضاء لترسل وتستقبل وتصور وتسجل وتأتى بالأعاجيب .

ألم يحصلوا على الطاقة من ضوء الشمس ومن باطن الأرض ومن قلب المفاعل الذرى ومن حركة الهواء وشلالات الماء .

ألم يجوبوا البحر والبر والفضاء وينزلوا على القمر

ألم يهدموا هيروشيما بقنبلة واحدة ويسووها بالأرض ويمسحوها من الدنيا .

أليست واشنطن الآن هى « إرم ذات العماد » التى لم يخلق مثلها فى البلاد .

والجالس فى البيت الأبيض هو فرعون ذو الأوتاد .

ألم يذكر القرآن « عادا الأولى » .

وكأنما يشير من طرف خفى إلى عاد ثانية فى الطريق

واختار لفظ « عاد » رمزاً لشىء يعود .

وهذا هو القرآن العجيب بإشاراته وإيماءاته الخفية .

ومؤتمر السكان جاء ليعدل شرائع رب العالمين وليحل ما حرم الله وليحرم ما أحل على لسان كل أنبيائه ليس فى القرآن وحده بل فى جميع كتبه المقدسة .. فيشيع الفاحشة فى العالم ويجعل من الإشباع الجنسى حقا من حقوق الإنسان بلا ضوابط وبلا شروط ويحرم الزواج المبكر خوفا من كثرة النسل ويحلل الزنا والبغاء والعلاقات الجنسية الحرة ويبيح الإجهاض بل يأمر به لأن الرزق فى الأرض لم يعد يكفى سكانها .

ثم يصك مصطلحا جديدا يسميه « العولمة » يخضع لقداستها كل شىء ويطيعها كل البشر من كل الدول وكل الجنسيات .. ويدعى أن طاعتها هى الحلال ومخالفتها هى الحرام بعينه .

وما يجرى فى العالم فى حقيقة الأمر ليس عولمة .. وإنما عصابة صهيونية تحرك العالم من دهاليز البيت الأبيض وتدفع بأمريكا وبالعالم إلى هوة من الدمار الكامل الشامل وإلى خراب غير مسبوق وكارثة فلكية بكل المقاييس .. ونشر الانحلال فى العالم وإفساد شبابه هو فلسفة هذه العصابة وتدبيرها .

وهذه العصابة هى التى تتحكم فى الانتخابات الأمريكية وتأتى بالجالس على عرش البيت الأبيض كل مرة .. وهى التى تخطط له كيف يفكر . ومن ورائها نخبة مختارة من رجال الكونجرس هم مجلس الشورى من حوله يهمسون فى أذنه ويقترحون عليه

ويفكرون له ويصححون المسار كلما خرج عن الخط المرسوم

وأمريكا الآن أقوى دولة وأغنى دولة ..

والدولار أقوى عملة ..

والاقتصاد الامريكي هو الحاكم ..

فلا غرابة أن يكون الجالس على عرش البيت الأبيض هو صاحب الصولجان ولكن هل هو الحاكم حقا وصاحب الامر حقا ..

أم أن الأيدى التى تمسك بالدفة هى التى تحرك الدفة وهى ليست دائما يديه والعقول التى تقترح عليه بالأفكار وتحذره من المخاطر ليست دائما أفكاره وإنما هى عقول دهاقنة الصهيونية من حوله

انظروا فى مصلحة من يصدر القرار ؟؟ تعلمون من كان وراءه .

وأمريكا لا تتحرك دائما لمصالحها بل فى أكثر الأحوال لمصلحة إسرائيل .

وهى تدخل فى حقول الغام من أجل العزيزة إسرائيل .

وهى تخطو على الشوك من أجلها .

وهى تخسر كل المنطقة العربية من أجلها .

وهى تواجه احتجاج أوروبا والعالم من أجلها .

وإسرائيل تبيع طائرات الأواكس للصين وفيها أسرار لا تحب أمريكا أن تذاع ومع ذلك تبتلع أمريكا الشوكة المؤلمة وتسامحها .

تلازم عجيب ووحدة أعجب وكان هذا « الدويتو » من إسرائيل وأمريكا توأمان ملتصقان موت أحدهما هو موت الآخر وحياة

أحدهما هو حياة الآخر .

هل يمكن أن يحدث هذا فى الواقع كما يحدث فى الأساطير

لقد حدث هذا فى الزمن القديم حينما انتهى اليهود فى مصر بنهاية الهكسوس وانقلب عليهم المصريون يعاقبونهم لخيانتهم للدولة التى أضافتهم .

وحدث فى بابل بنهاية الحكم الذى كان يحتضنهم وبقدوم بختنصر الذى استأصل شأفتهم وشردهم فى أحداث السبى البابلى .

وحدث فى ألمانيا بقدوم هتلر وما فعله بهم الحكم النازى لتآمرهم على الاقتصاد الالمانى .

وهم الآن فى المحضن الامريكي الوثير

وأمريكا تستعملهم على العالم وتستغل دهاءهم ومكرهم وهم يستعملونها لأغراضهم.

ولن يكون الختام أفراحا ومحافل وأعيادا وتورتة وسنة حلوة يا جميل . وإنما أهوال لا تخطر على البال .. فكشف الحساب هذه المرة طويل بطول القرن العشرين كله والضحايا بلا عدد بطول وبعرض العالم وهذا الفكر الصهيونى يقود العالم إلى نهايته والطمع شريعته . والاستغلال سنته والفساد وسيلته إلى تخدير العالم وتغييب حواسه وتضييع شبابه والسطو على ثرواته ونهب خيراته والتحكم فى القيادات التى تحكمه بالتجسس والتخابر وبالغواية وبالمال وبالإرهاب . وليس صحيحا أن هدفهم القدس وغايتهم المسجد الأقصى وحلمهم جبل صهيون . فلن تسلم لهم تلك الأهداف إلا إذا وقع العالم كله فى شباكهم

وتخطيطهم هذه المرة ينظر إلى بعيد .

وبركوبهم الثور الأمريكي امتدت أبصارهم إلى بعيد إلى أقصى العالم .

أليسوا هم المختارين من الله .. فليكن ملك العالم كله لهم ولتكن مقاليده في أيديهم .

إلى هذا المدى تمتد أطماعهم وتتحدث بروتوكولاتهم .

وهم الآن يكتفون بالتسلل وراء الكواليس وتحريك الرؤوس الكبيرة وغواية الرؤوس الصغيرة . والتأثير في صناع القرار .

وهم يعملون في الظلام . وهكذا كان دأبهم من ألف عام ..

وتقول الأخبار القادمة من أمريكا أنهم يحركون ٧٠٪ من مافيا المخدرات في القارة الأمريكية وأنهم يمتلكون أقوى دور الصحف وأقوى دور الإعلام ويسيطرون على بورصات المال والأسهم والسندات . ويهيمنون على الصناعات الكبرى والشركات العالمية متعددة الجنسيات .

ويمكرون ويمكر الله.

ولا أتعجل الحوادث فالسنوات حبلى ..

والله وحده يعلم متى .. وكيف .. وأين تسير الأمور ..

وهو الذي يحكم من حيث يظنون ونظن .. أنهم هم الذين يحكمون .

إنما الغيب لله .

قال لي صاحبي .. ألا تبالغ في هذه القوة التي أضفيتها على الصهاينة وهذا الخلق التآمري الذي وصفتهم به . سيقولون وقع صاحبكم العربي في هذه الهيافة والسطحية التي يدمغ فيها كل حدث بأنه مؤامرة .. قلت له هذه مقالتهم دائما لإبعادنا عن

...هم وعن الخلق الذميم الذي يعلمونه في أنفسهم .. وهل كانت ...ادهم بطول التاريخ إلا مسلسلاً تآمرياً وحلقات من الغدر من أيام الهكسوس إلى أيام السبي البابلي إلى أيام معركة الأحزاب إلى أيام خيبر إلى أكذوبة الهولوكوست وأفران الغاز والستة ملايين يهودي الذين هلكوا في المحرقة . ولم يكن مجموع اليهود في ألمانيا بأسرها يصل أيامها إلى الثلاثة ملايين .. وكانت غرف الغاز لقتل القمل والحشرات .. واخترعوا القوانين التي تحاكم كل من يكذب هذه الخرافة .. وسمحوا لك بأن تكفر بالله وتكذبه ولم يسمحوا لك بأن تكذبهم ..

إن سيطرة اللوبي اليهودي على أمريكا حقيقة .. وتآمرهم حقيقة وغدرهم حقيقة . وهم يشربون أنخاب نصرهم اليوم .. وهم في سكرة ولكن .. كالعادة .. اليوم سكرة . وغدا عبرة . وتلك الأيام نداولها بين الناس .

إنها أيام الله يا صحبي ..

وسوف تراها بعينيك إذا طال بك العمر .. فعمر الظلم ساعة .. وعدل الله إلى قيام الساعة .

وقل انتظروا .. إنا منتظرون .

سواح.. فى دنيا الله

الخيط الرفيع بين الجنة والنار

عجيب أمرنا نحن المسلمين ! . نعبد إلها واحدا ونطوف حول كعبة واحدة ونتوجه فى صلاتنا إلى قبلة واحدة . ونصطف فى المسجد صفا واحد .. ونقول جميعا آمين .. فى نفس واحد ومع ذلك لكل منا إسلام خاص به ، يختلف عن إسلام الآخر ، وكل منا يفهم الإسلام على طريقته ، ويباشره فى حياته بمفهومه الخاص !

وقد تفرقت الجماعة الإسلامية إلى سنة وشيعة وأباضية ودروز ، بل إن الشيعة نفسها تفرقت إلى زيدية واثنى عشرية وإسماعيلية وعلوية وبهرة وبكتاشية ، وخرج منها غلاة عبدوا عليا ، ورأوا فيه ابنا لله ، واعتقدوا أن الرسالة أخطأته ونزلت على

محمد ! والأكثرية التزمت جانب الاعتدال وقالت . بل كان أولى بالخلافة . ولم تزد . وبين هؤلاء وهؤلاء تعددت الفرق وبعيدا عن الطريق والمذهب اختلف الناس بين مدخلين للإسلام .. المدخل السلفى الأصولى ، والمدخل الصوفى .

وفى المدخل السلفى تمادى الأصوليون فى الشكلية وفى الالتزام الحرفى بالنصوص ، وفى ظاهر سلوكيات المسلم طريقة إطلاقه لحيته ، وتقصيره جلبابه .. وللمرأة نقابها وحجابها .. وهى الشريعة ذاتها .. بينما اهتمت الصوفية بتطهير الباطن ، ومجاهدة النفس ، والتربية الخلقية وتحصيل المقامات .. مقامات التوبة والإخلاص والصدق والصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة والتقوى والورع .. وتركت الظاهر لأهل الظاهر ، وقالوا : نحن عمدتنا القلب ، وغايتنا اللب وليس القشر .

والكل مسلمون ولكن شتان بين فهم وفهم !

وأنا أرى الآن أن القرآن لم ينحصر فى أى من هذين المسلكين ، بل كان فى مجموع آياته يمثل الوسط العدل بينهما ، والجامع الأمين بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن .. وأن المذهبية والحزبية أفسدت الإسلام تماما .

والقرآن فى مجموع آياته شىء غير القرآن فى آية واحدة مبتورة من سياقها ، أو بضع آيات نزلت فى مناسبة ، أو حكم متشدد نزل فى ضرورته .

ولا يمكن فهم الإسلام إلا من خلال القرآن كله بمجموع آياته .. فهو يفسر بعضه بعضا ، وما غمض فى آية توضحه آية أخرى ، وما أجمل فى آية تفصله آية ثانية .

والتشديد لا يجىء فى القرآن إلا لضرورة .. أما السياق القرآنى العام ....؟

فهو العفو والمغفرة والسماحة .

﴿ .. هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ .. ﴾ [الحج ٧٨]

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور :٦١]

وسلوك النبى عليه الصلاة والسلام « وهو المؤشر إلى التفسير الصحيح للقرآن » هو الحلم بعينه ، وهو المنهج السهل بعينه . لا تزمت ولا تشدد ولا تنطع ، ولا وقوف عند الفهم الحرفى للنصوص . وكمثال حكاية الرجل الذى جاء يحكى للرسول كيف اختلى بامرأة ونال منها ما يبتغى دون مباشرة فاطرق النبى - عليه الصلاة والسلام - ولم يعلق وقام للصلاة ، فنزلت الآية .

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود :١١٤]

فنصح الرجل بالصلاة والإكثار من النوافل ، ولم يقم عليه النبى حد الزنا رغم اعترافه ، واعتبر ماحدث من « اللمم » ، اى الذنوب التى تغفر ، والتى تجبرها الصلاة والتوبة

ويذكرنا هذا بالمسيح - عليه السلام - حينما رفض أن يرجم «المجدلية » الزانية ، وقال لمن حوله من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر !

ولم يشهد المسيح ولا نبينا - عليهما الصلاة والسلام - من بعده ذلك العصر الردىء الذى نعيش فيه ، والذى تدعو فيه اجهزة الإعلام واغانى الإذاعة وافلام السينما وتمثيليات التليفزيون - إلى

العلاقات الحرة . والأقمار الفضائية التى تباشر الزنا علنا ، وجهارا نهارا ، وتغرى الشباب بالصورة والكلمة والحركة إلى المسارعة فى قضاء الشهوات ، وإلى التسابق فى المتع الحرام !

ماذا يكون موقف الشريعة من هذا العصر الذى شاعت فيه البلوى ؟!!

وماذا يفعل الشباب . والزواج بعيد المنال .. هل يدخل فى جب تحت الأرض ؟!!

وهل شبابنا فى هذا الحال جناة ، أم مجنّى عليهم ؟!

وفقه شيوع البلوى له مكان فى شريعتنا ، عملا بالمبدأ القرآنى ، حينما كانت الخمر بلاء شائعا فى أول الدعوة ، فنزلت الآيات مخفّفة ، تعاتب شارب الخمر ولا تغلظ عليه ، وتتدرج فى التحريم على مراحل . ويذكرنا هذا بالفقيه الإسلامى الذى سألوه ان يقيم حد الخمر على الحاكم التترى - وذلك بعد إسلامه - فرفض ، وآثر تركه فى غيبوبة السكر ليكف ظلمه عن الناس ، وقال إن تطبيق الشريعة عليه وامتناعه عن الشرب وعودته إلى وعيه وعافيته ، سوف تؤدى إلى منكر أشد ، بعودته إلى جبروته وظلمه .

وفى هذا يقول العوام : « نوم الظالم عبادة » !

ومنذ ذلك اليوم سارت كلمة ذلك الفقيه مثلا .. واصبحت مبدأ مقررا من مبادىء الاجتهاد . له أنصاره .. إنه إذا أدى تطبيق الشريعة إلى منكر أشد كان عدم تطبيقها أولى . وأنه لابد من فهم الشريعة الإسلامية فى إطار مراد الله بها ، وقصده من نزولها ، وهو صلاح أمر العباد وليس شقاءهم . فالله تعالى يقول

﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .. وهكذا كان شأن

الاجتهاد عند المفسرين الأوائل .. وهكذا كان شأن العقل والفهم والتدبر والتفكر .. ولم يظهر التشدد والتحجر والانغلاق على الألفاظ ، إلا مع قرون التخلف وتوقف الاجتهاد ، وظهور الدعوات الأصولية التي تزايد على بعضها ، ويسابق بعضها بعضا في الغلظة وفي الرجم والجلد .

وليس في كلامنا تهوين من أمر الشريعة ، فهي حبه قلب المسلم وسواد عينيه ، ولا يملك المسلم العابد أمام كلمة ربه إلا السمع والطاعة وإنما هي الغيرة على الكلمة وقداستها من أن تفهم على غير وجهها ، وتستعمل في غير حقها ، فتكون ذريعة إلى ظلم بريء .. بل نحن أشد حبا للشريعة من الذين يطبقونها في عمى .

ولقد تكاثر دعاة الأصولية الغلاظ ، وتنافسوا في القسوة وفي مطاردة المسلمين وإرهابهم بالنصوص ، حتى نفروهم من دينهم !

والله يعلم مسبقا ماذا سيكون شأن هذا العصر الذي نعيشه ، من شيوع البلوى فيه ، ومن انتشار الفساد والفقر والبطالة والانحلال ، وتكالب الأعداء على الإسلام من كل جانب ، وهوان حال المسلمين وانقسامهم وتشتتهم وبوارهم .

وكل هذا يكشف عن عمق القرآن ورحابته وتعدد آفاقه ، بحيث تغطي آياته التشريعية كل العصور . ويكشف عن روح التسامح وإيثار العفو ، وإيثار فهم التشريع على الوجه الأصلح لحياة المسلمين .

وهو يكشف أيضا عن المرونة وعدم الجمود ، ورفض الغلظة إلا في ضرورتها القصوى حين يقتل القاتل ظلما وبغيا فيتوجب القصاص . ولهذا اختلف الناس أمام فهم القرآن ، وانعكست نفس

... ماريء في لون تفسيره .. فغلاظ القوم لم يشهدوا من القرآن إلا آيات النكال والرحماء شهدوا رحابة التشريع ، وانفساح آفاق ... أمام الفهم الأرحب والأرحم . واختلفوا ، والكتاب الذي ... واحد . وما اختلفوا بسبب الكتاب بل بسبب نفوسهم ! وهذه مشكلة الحكومات الأصولية والفرق المتشددة .. ومرضى النفوس ومرضى القلوب ، وهواة التشفي من كل جنس !

ولقد نزلت الآيات بهذا التلوين لتمتحن القلوب ، ولتمتحن النفوس ، ولتختبر المعادن . والقرآن هو الشاهد على الكل ، وهو الحجة . ولا يصلح القرآن ذريعة لظلم أو جبروت ، بل هو قاموس الرحمة بعينه .

والمختلفون من أهل الشقاق والنفاق شهدت أعمالهم على كفرهم . فما اختاروا بغلظتهم القرآن حكما ، بل اختاروا نفوسهم ، وآثروا رغباتهم الانتقامية ، واتخذوا من القرآن ستارا وذريعة لقساوتهم !

وصدق الله العظيم في خطابه لرسوله

﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ [طه ٢]

فالقرآن هو الباب إلى النعيم ، ولا يمكن أن يكون بابا للشقاء ، ولا بابا لكل هذا الخلاف والفرقة والانقسام . ولا بابا لكل هذا الإرهاب والإجرام والقساوة . وإنما اختلفت النفوس التي تقرأ وتفهم وتفسر .

ولهذا قال ربنا عن قرآنه

﴿ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ﴾

[البقرة ٢٦]

وما أكثر فساق ومجرمي هذا الزمان ، الذين اتخذوا من القرآن ذريعة لإجرامهم وستارا لإرهابهم ! وهؤلاء هم الذين أضلهم الله

بقرآنه . وكشفهم أمام الناس وأمام نفوسهم ، وفضح ضلالهم وكفرهم .

ولا مفر من الاختلاف ، بحكم اختلاف النفوس واختلاف الطبائع ، قال ربنا عن الناس

﴿ .. ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ [هود ١١٨ ـ ١١٩]

وهذا الاختلاف أزلى ، من قبل أن تولد النفوس وتجيء إلى الدنيا ، وسببه ثبوت وصف تلك النفوس فى علم الله من الأزل ، وهذا الوصف هو ما أرادته النفوس لنفسها أزلاً ، وليس ما أراده الله لها فالله لا يريد إلا الخير لكل الخلق .. ولقد فطر البشر على الحرية والاختيار ، وكانت النتيجة أن اختلفوا حسب أهوائهم .

قال ربنا ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ ليميز الخبيث من الطيب ، ولتكون خاتمة كل مخلوق على وفاق نيته .

وكانت العاقبة فى النهاية أن امتلأت بهم جهنم ، ولم يدخل الجنة إلا القليل ، واستلزم الأمر « الفرز » والتصنيف ، وتفاضل الرتب والمنازل ، لأن هذا كان مقتضى العدل ، والله أعدل العادلين

وكان البديل الآخر أن يستووا عند الله رغم اختلافهم .. أن يستوى القاتل والقتيل ، والظالم والمظلوم ، وأن يستوى البر والفاجر ، وأن يقدم الله للجميع « حفلة شاى » فى الآخرة احتفالا ببعثهم .. وهو الأمر المحال !

تعالى ربنا عن مثل ذلك العبث علوا كبيرا .

قال ربنا ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ .. ومعنى ذلك أن داخل الجنة لن يدخلها بعمله وحده بل بفضل الله

ورحمته ، وتلك هى النسمة الربيعية الجميلة التى تهب من أول [illegible] فى القرآن إلى آخر صفحة من أول مفتتح الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخر كلمة .. والحمد لله رب العالمين [illegible] يتم الحساب ولقد اختار ربنا لرحمته من استحقها من [illegible] وهو أعلم بقلوب خلقه ، ولولا رحمة ربك لهلكنا جميعا .

وبين النار والجنة ذلك الخيط الرفيع بين المؤتلف والمختلف [illegible] الذين أسلموا للحق وانسجموا معه فى كتيبة الخير ، وبين الذين أعرضوا وتفرقوا واقتتلوا . وليس بالشعارات ولا بالبطاقات سيكون دخول الجنة ؛ فما أكثر الذين حملوا [illegible] مار لا إله إلا الله وخانوه ، وحملوا بطاقة المسلم ولم يسلموا لشيء سوى هوى نفوسهم !

وتظل الوسطية والاعتدال هى النغمة القرآنية السائدة من أول [illegible] إلى آخرها .. والذين تطرفوا فى الأخذ بالظاهر ، والذين تطرفوا فى الأخذ بالباطن ـ إنما أخذوا من القرآن ما ناسبهم ، ولم يأخذوا به كله .

ومحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو القرآن الحى الذى يمشى على الأرض ـ ما عرفناه إرهابيا ، ولا عرفناه مجذوبا غائبا عن الوعى فى سكرة الوجد مثل مجاذيب الطرق الصوفية ، إنما عرفناه يقظا منتبها ، حاضر الذهن ، عقله مع الناس وقلبه مع ربه، يعيش الواقع ويلتحم بالدنيا ، ومع ذلك لا يغفل عن خالقه لحظة.

وذلك هو الصراط المستقيم . لا يمين فيه ولا يسار .. بل خط رفيع كالسيف .. من أصابه فقد عرف جادة الإسلام .. ولهذا جعله الله أسوة لنا جميعا ، واختاره قدوة ومثالا . وأرسله نبيا .. وقال له ما لم يقل لرسول :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . ومن أخطأ فهو مسلم بقدر اقترابه من هذا الوسط الأمثل ، وهو صاحب الأخلاق بقدر حظه من الاعتدال .

والأخلاق فى أصلها هى الأسماء الحسنى لله : الكريم ، الحليم ، الرحيم ، الودود ، الرؤوف ، الصبور ، الشكور ، البر ، العفو ، الغفور ، الغفار ، الرزاق ، الحكم ، العدل ، النافع ، الهادى ، الرشيد . فكل هذه أخلاق مُثْلى . ولله المثل الأعلى . وبقدر ما يحصل العبد من هذه الأخلاق يكون عند الله عبدا ربانيا . ويكون عند الله مسلما حقا .

وفى الحديث « تخلقوا بأخلاق الله . إن ربى على صراط مستقيم » وجمعية تلك الأخلاق هى الأصولية الحقيقية فى ديانتنا إلى جانب الإسلام لله فى كل شىء ، وتوحيده وتمجيده ، وتسبيحه وعبادته وطاعته ، والإيمان بكتبه ورسله والقدر خيره وشره ، والآخرة والبعث والحساب ..

هذه هى الأصولية . ولا دخل لها بإرهاب ولا بتطرف ، ولا بمظهرية كاذبة ، ولا بشكليات فجة ..

ويجمع النبى – عليه الصلاة والسلام – كل هذا فى جملة واحدة : « قل . آمنت بالله ثم استقم »

فيضع كل مكارم الأخلاق تحت كلمة الاستقامة ، وكل مقررات الإسلام فى كلمة الإيمان . وذلك لتأكيد أن الإسلام دين فطرة وبساطة ، وليس فلسفة وحذلقة وتنطعا وجدلاً . فالأمر أبسط من كل هذا .. بل هو ثلاث كلمات !

وأصحاب النيات السليمة يفهمون هذا ببداهتهم ولا حاجة لهم بجدل ولا بتنطع .. وأصحاب النيات الخبيثة .. المشكلة فيهم ،

وليست فى الدين .. وبين الاثنين ذلك الخيط الرفيع بين الجنة والنار

ولذلك قال ربنا فى أهل الجنة ﴿ إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ – أى عن النار مبعدون –

كان هذا أمرا سبق نزولهم إلى الدنيا وهم مجرد نفوس . سبقت لهم من الله الحسنى ، بناء على علمه بنياتهم من الأزل ، ومن قبل أن ينزلوا إلى عالم الامتحان والابتلاء ودنيا أسفل سافلين .

هم إذن أهل الجنة من قديم . والآخرون أهل النار من قديم .. وإنما قضى الله بالامتحان والابتلاء حتى تنقطع الحجة .. وحتى لا يكون لأحد عذر .

ويبقى بعد ذلك السؤال : كيف كنا فى ذلك الأزل قبل الخلق ؟ وكيف تفاضلنا ؟ ومتى ؟ وأين ؟

أم أنه لا أين ، ولا متى فى الأزل . حيث لا حيث .. وحيث لا مكان ولا زمان !؟ وتلك من أسرار الغيب التى لا يعلمها إلا الله ، ولن يكشف عنها الستار إلا بعد الموت والبعث .. والعرض مستمر .. والقصة ممتدة فصولا .. وفيها مصيرنا كله .

ضعوا أيديكم على قلوبكم .. فليس الأمر بالهزل !

التجارة القاتلة !

العالم الذى نعيش فيه هو عالم من الدناصير والغيلان والشركات العالمية الكبرى التى انفردت بالتكنولوجيا المتطورة والتى تعود فتعطى هذه التكنولوجيا بالقطارة للدول النامية وبأسعار فلكية تكاد تكون امتصاصا للدماء وإزهاقا لروح المستهلكين . القلم الحبر حينما يحمل اسم ماركة عالمية يضرب سعره فى ألف ضعف مع أن الخامات واحدة .

وتأتى صناعة الأسلحة على قمة أفحش أنواع المتاجرة وأفحش أنواع المكاسب . هذه المرة متاجرة بالدم . دماء الآخرين .. وفى رواندا كانت فرنسا هى المورد الوحيد للسلاح لقبائل الهوتو والتوتسى ، وكانت الحصيلة مليون قتيل تركت تتعفن فى

الأحراش والقى بآلاف منها فى الأنهار .. وتصاعدت مليارات الفرنكات فى أرصدة تجار الدم ووسطاء الموت .

وفى أفغانستان قامت المخابرات الأمريكية الـ CIA بدور المورد الوحيد للمال وللسلاح عن طريق باكستان ، وعن طريق دول عربية وسيطة ليظل القتال مستعرا بين الأخوة حكمتيار وربانى ودوستم وفريق الطالبان الجديد . وبهدف سياسى هذه المرة .. حتى تأكل نار القتال العصابة الإسلامية كلها ويستعلن على الملأ فشل الإسلام فى إقامة دولة وتسقط الأصولية الإسلامية نهائيا كمنهج ودستور .

وهذه الدول الإمبريالية تقوم بإشعال الفتن وصناعة الحروب لتستمر الحاجة للسلاح ، ولتستمر مصانع السلاح تعمل والأيدى العاطلة تعمل وليستمر التخلف والصراع ونزيف المال فى الجانب المظلم الفقير من العالم (إفريقيا وأمريكا اللاتينية) ولتتكدس المليارات فى جيوب عمالقة الصناعة وحيتان التجارة وغيلان الوساطة والسمسرة .

ويبدو أن التقدم العلمى فى تلك الدول لم يصحبه تقدم أخلاقى وإنسانى بنفس الدرجة ، فأصبحنا أمام دناصير تكنولوجية وغيلان اقتصادية لا يهمها سوى الدولار والفرنك والين .. ولم تعد الملايين تكفيها ولا المليارات وتحولت الشركات إلى دول استعمارية تمارس الاستعمار بأسلوب جديد، وتحول الوكلاء إلى خدم للأرباب الجدد .

وبهذا النهم الحيوانى إلى المكسب من جميع الفرقاء سوف تتحول الساحة إلى صراع عدوانى من جميع الأطراف على جميع الأطراف ، وسوف تستمر الحروب وتشتعل المجازر حتى ينهدم المعبد على من فيه .

وعودة الرأسمالية إلى هذه الذروة من الوحشية بعد سقوط الخصم الشيوعى وتعجلها لجنى الأرباح واهتبال المكاسب من الأغلبية العاجزة الفقيرة سوف يتخطى بها عتبة الأمان إلى حافة الانتجار من جديد ..

وسوف تنتحر هذه المرة بأن تخلق أزمة اقتصادية عالمية تتكدس فيها السلع بلا مشتر ويتضاعف فقر الفقراء إلى درجة الثورة .

وتعود الحلقة المفرغة لتطحن الكل .

وتبقى الحكمة الإلهية تهمس للجميع بصوتها القدسى

إن الطمع لا يمكن أن يسعد صاحبه .. وإن الذين يجمعون المال يجمعون الهباء . والذين أثروا بالاستغلال سوف يكونون خصماء للفقراء الذين استغلوهم والآلاف الذين قتلوهم ، وأن الدائن اليوم سيكون المدين غدا يوم لا تنفع رقية الراقى ولا تجدى حكمة الطبيب .

عرايا خرجتم من بطون أمهاتكم ، وعرايا تعودون فى الأكفان .. وتذهب ثمرة تعبكم ليبددها سفهاء لم يتعبوا فيها

باطل الأباطيل ، الكل باطل وقبض الريح .

ولن يبقى لكم إلا كثرة الغم .

ترى هل يحاول هؤلاء الفيلان أن يفهموا وأن يتوقفوا لحظة عن هذا اللهاث .. وأن يفيقوا من هذا السعار الغربى . وأن يستمعوا إلى صوت الحكمة .. أم أن كلمات الله ماضية إلى نهايتها

﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ [الروم : ٥٢]

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾ [الزخرف ٤٠] .

هيهات ..

والسبب قديم

وإذا كانت اليابان الآن هى الموضة الجديدة ومن ورائها النمور الأسيوية . كوريا الجنوبية وهونج كونج وسنغافورة وماليزيا والصين وإذا كانت أمريكا هى الموضة الجديدة فى فن اشعال الحروب والمتاجرة بالسلاح . فإنها تمشى على خطى أباطرة الاستعمار القديم بريطانيا وفرنسا .. وعنهم أخذت العلم وتفوقت ...

وهو علم قديم بدأه المرابى اليهودى الذى ابتكر فن إثارة الفتن ، ثم ابتكر أسلوب القروض والربا والفوائد المركبة والبورصات والبنوك والشركات ، وجعل من العلم أداة مسخرة لملء الجيوب .

وهو الذى جعل يوم السبت إجازة يسبت فيها كل هؤلاء عملا .. وراته التى لم يأخذ منها إلا هذا السبت الرمزى لم يأخذ إنسانياتها ، ولا تعاليم التقوى التى أمره الرب بها ، وإنما أخذ فقط كلمات الاستعلاء إنه وشعبه هو المختار بين جميع الأمم

وهو الذى سبق الكل فى صناعة المؤامرات ، وإثارة الحروب لكى تسلم له السيادة والرياسة .

وشعاره كلمات داود فى المزمور الثانى من التوراة :

قال لى الرب أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك .. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا وأقاصى الارض ملكا (فالأرض كلها يجب أن تكون له بصك ملكية إلهى)!

وهو ما افتراه الاحبار الذين كتبوا العهد القديم ليجعلوا من الله إلها شخصيا لهم وحدهم . مكرسا لأهوائهم وأطماعهم دونا عن جميع الأمم .. « هكذا يقول الرب . إسرائيل ابنى البكر » ثم يحل لهذا الابن كل الخطايا والآثام ..

للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا (سفر التثنية ٢٣) .

لا تأكلوا جثة ما . تعطيها للغريب الذى فى أبوابك فيأكلها (تثنية ١٤ الآية ٢١) .

أبناء المستوطنين النازلين عندكم تستعبد إلى الدهر وتتخذون منهم عبيدا وإماء أما إخوانكم من بنى إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف (لاويين ٢٥) .

عنصرية بغيضة لا يمكن أن يقول بها رب .

ولكنها هوى المرابى اليهودى الذى يريد أن يجعل من طمعه دستورا إلهيا منزلا تقوم عليه أمور الدنيا والتوراة ذاتها تقول بهذا التحريف الذى حدث فى آياتها .

أما وحى الرب فلا تذكروه لأن كلمة كل إنسان تكون وحيا إذ قد حرفتم كلام إلهنا (أرميا ٢٣) .

إنها آيات محرفة ومختلقة إذن ومكتوبة لهوى تلك الفئة التى تريد أن تجعل من الاستغلال قانونا للدنيا . وتجعل من رأس المال صنما معبودا ومن العجل الذهبى قدس أقداس ..

وقد فعلوها وأقاموا رأسمالية وامبريالية فاجرة ، ثم خرج منهم من هدم تلك الرأسمالية وأقام شيوعية أفجر منها .. ثم خرج من الشيوعية من هدم الشيوعية على رأس الكرملين ومن فيه .. ومن بناء إلى هدم إلى ثورات إلى حروب . تلك هوايتهم .

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة ٦٤] .

فالحروب هى وقود البورصات وهى التى تجعل روبل اليوم فى الحضيض ، ودولار الأمس فى القمة ، والين اليابانى فى السماء السابعة .. وهكذا يجنى المضاربون الكبار المليارات فى

بلا عمل وبلا جهد وبلا مقابل . كل المطلوب هو ذكاء شرير وإشعال مستمر للحروب والانقلابات والثورات والقلاقل

إنه داء قديم .. وتسوس عضال فى البنية البشرية كلها .

ونحن نريد اليوم أن نصطلح مع هؤلاء الناس الذين أفسدوا الدنيا ونشروا داء الاستغلال وجعلوا من إفقار الشعوب موضة جارية .

كيف وبأى منطق ؟!

كيف تصطلح مع الموت وهو يريد رقبتك شرطا للصلح ؟

كيف تصطلح مع السرطان وهو يأكل بدنك ويلتهم أرضك ؟

الهدف النهائى

ولا يفهمن أحد أنى أجعل من اليهود المجرمين الوحيدين فى العالم فالإجرام فى كل الملل والنحل وفى كل الجنسيات والأقوام .. وهوموجود من قبل اليهود .. ومنذ آدم .

وجمع المال غريزة فى البشر منذ أن ظهر البشر والاستغلال موجود منذ بدأت المجتمعات . ولكن اليهود نبغوا فى جمع المال وبرعوا فى فنون الاستغلال . وهم الذين قننوا الاستغلال ، وجعلوا له شرعية وأشكالا قانونية ومؤسسات . وذلك عن إدراك عميق بأن المال هو السبيل إلى القوة والهيمنة .. وأن المال يمكن أن يشترى الذمم ويشترى الولاء ويشترى السلطة .. والسلطة كانت دائما هدفهم بحكم كونهم أقلية مضطهدة .

ولم يطلبوا السلطة جهارا ، وإنما اكتفوا بأن يكونوا المستشارين لكل سلطان يصنعون له القرار دون أن يباشروا السلطة علنا فيأخذهم سيف الجلاد عند أول تغيير .

وما زالوا يتسللون إلى تلك الكراسى الخلفية حتى شغلوها

جميعها فى دول القمة ومناصب القمة بفضل نظام ماسونى محكم متغلغل فى النخب الحاكمة ونخب الصفوة فى كل مكان

والصهيونية هى التنظيم السياسى الدموى وراء هذا الهرم الخفى من الشخوص المتسللة التى تحرك خيوط الحوادث وقد ظلت تعمل ببطء ومثابرة وخفاء حتى صنعت إسرائيل . ثم أدخلت فى وهم أمريكا أن حياة أمريكا هى فى حياة إسرائيل وقوتها فى قوة إسرائيل ومصالحها فى مصالح إسرائيل وأن إسرائيل هى الولاية الأمريكية الثالثة والخمسون فى الشرق الأوسط .

ووصلت إلى ذلك بامتلاك « الميديا » جميعها - الصحف والإذاعة والتليفزيون ودور النشر والأقمار الفضائية والسينما والمسرح والكتاب وبالتالى الرأى العام فى كل مكان تلونه كما تشاء فضلا عن امتلاكها المسبق للبورصات وأسوق ومؤسسات المال ثم امتلاكها للتنظيمات الأخرى الخفية تحت الأرض المافيا وصالات القمار وبيوت الدعارة وعصابات المخدرات

وما نراه الآن هو حصاد هذه الشباك العنكبوتية وأثرها فى صناعة الحفر والمطبات وحقول الألغام التى يتردى فيها السلام العربى - الإسرائيلى نحو نهاية رسمت سلفا بأن تهيمن إسرائيل على المنطقة العربية كلها .

وأرجو أن تكون هذه الصور واضحة لكل زعيم عربى حتى يعرف قبل أن يخطو أين سوف يضع قدمه . وأين يقود شعبه أو يقاد هو وشعبه . وأى هاوية هناك وراء هذا الستر الممزق الذى اسمه السلام ؟ وماذا سيدفع فى سبيل هذا السلام الموهوم ؟!

وأى شرف له فى هذا التطبيع الذى هو تركيع . حتى الأمان ... به إسرائيل على جيرانها العرب فترفض أى مساس أو ... على ترسانتها الذرية أو اعتراض على ما تكدسه من قنابل ... على حدودنا .. والأصوات التى ترتفع محتجة ترد عليها ... رائيل ببناء مزيد من الصواريخ حاملات الرؤوس النووية ... مها فى أرض القدس وتوجهها إلى من لا يعجبه من الكبار .. وهو أمر طبيعى فهى ترى أنها أكبر من كل كبير وأن وراءها الدولة الأكبر والأعظم وأن الله ربها وحدها وخادمها وحدها .

هذا الصلف المستفز ترد عليه بمد الأيدى للسلام ونحن نعلم أن الأيدى التى نمدها تقطع . فكيف نقبل التطبيع مع خصوم هذا بابهم .

وأضعف الإيمان أن نجتمع (على الأقل دول المواجهة) وأن ... مع صوتنا بشىء أى شىء يدل على إننا موجودون . وأن ... من بأن هناك قوة غير قوة السلاح اسمها قوة الحق وأن الله الذى خلق السموات والأرض بالحق لا يخذل الحق أبدا .

لنتكلم بصراحة !

هذه « الهوجة » التى يثيرها الغرب كل يوم عن خطر الإسلام والمسلمين على الحضارة ، والتى يرددها مسئولون كبار فيه .. حكاية أمرها عجيب ..

نكتة والله ..؟!!

أين هو ذلك الخطر المرتقب فى الحاضر أو المستقبل القريب أو البعيد من تلك الدول الإسلامية المنكوبة ، وما نرى حولنا سوى دول مفككة لا يجمعها رابط ولا يضمها لواء .. بعضها تابع وبعضها عميل وبعضها محتل ، وبعضها يضرب بعضها وأكثرها يعيش تحت خط الجوع ويتسول خبزه . وكلها إسلامية بالاسم فقط ولكنها علمانية الهوى ، لم يبق من أصوليتها إلا لحى مطولة

وجلابيب مرسلة ومسابح مزوقة ومصاحف منمقة ، وأكثرها شكليات غير ذات موضوع وتقاليد غير ذات مضمون .

والقابضون على دينهم من هذا الجمع المختلف يمشون فى حالهم إلى جوار الحائط لا ينازعون أحدا ولا يدرى بهم أحد ، وهم قلة .. الراكعين الساجدين فى الخفاء لا يرجون من الدنيا إلا وجه ربهم

أين هو ذلك الخطر الوهمى ..؟!!

وإذا قلنا إن المقصود هو الإسلام المولود وليس الإسلام الموحود ، فأقول إن الإسلام المولود (وهو الإرهاب والجماعات الإسلامية) قد ولد على أيديهم .. هم الذين اتفقوا عليه وصنعوه بالمواصفات التى أرادوها .. وهو مولود (سقط) . وهو فى خدمتهم وليس فى خدمتنا ، ولا خطر عليهم منه ، بل خطره علينا نحن وعلى إسلامنا لأنه محسوب على إسلامنا ، وهو مكيدتهم وليس مكيدتنا وتآمرهم وليس تآمرنا .

وإذا قلنا إن المقصود هو الذاتية الإسلامية كملامح حضارية مناهضة ومضادة للملامح الحضارية الغربية .. أقول إن هذه الذاتية ـ وهى لا وجود لها إلا فى قلوب أهل الله ـ قد انسحبت من المجتمع منذ أمد بعيد ، منذ أيام الخلفاء الراشدين ، وانكمشت منذ ذلك التاريخ وأصبح وجودها محدودا بعدد المسلمين الأتقياء الأصلاء وهم قلة ، وهذه الذاتية الإسلامية رغم اختلافها مع الحضارة الموجودة فإنها لا تفكر فى أن تعلن عليها الحرب فمبدؤها الأصولى القرآنى .. هو

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون ٦]

﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

[المائدة : ١٠٥]

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [الجاثية ١٤]

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩ ﴾ [المزمل . ١٠]

فلا أحد سوف يفكر فى إرسال الغزوات إلى أوربا لنشر الدعوة ، وإنما طريقتنا مع المعاندين الرافضين هى الهجر الجميل

وقد حارب المسلمون فى الماضى لتبليغ الدعوة ولتوصيل كلمة الله إلى أقصى الأرض .

وقد بلغت الدعوة الآن للقاصى والدانى وترجم القرآن بجميع اللغات فلم يعد هناك ما يدعو إلى تلك الغزوات

و موقفنا الآن من الأديان الأخرى هو احترام حرية الآخر فى اختيار الدين الذى يشاء ومقابلة السيئة بالحسنة والضلال بالمغفرة وسوء العشرة بالصبر .

وحرية الاختيار مبدأ أساسى فى الإسلام بدونه لا يكون للحساب معنى ولا للتكليف منطق .

وليس فى الذاتية الإسلامية مبدأ السيطرة ولا فرض الرأى بالقوة على الآخر .. ولو كان فى الإسلام هذا المبدأ لكان الأولى به النبى الكامل . ولكن الله ما أراد نبيه مسيطرا ولا متجبرا بل صرفه عن ذلك .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ㉑ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾

[الغاشية ٢١-٢٢]

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق ٤٥]

﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام . ٥٢]

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ㉕ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية ٢٥-٢٦]

والمسلم الحق يحاول أن يفهم الناس ولكنه لا يحكم عليهم ... يدعوهم بالحسنى ولكنه لا يفرض عليهم رأيه . أما المحاسبة فمن شأن الله وحده .

... قاتل نبينا إلا الذين قاتلوه ، وما حارب إلا الذين حاربوه ... إنما الفرق الوحيد بين الحضارة الإسلامية وبين ... ة العلمانية الحالية هو فرق موقف من الله والغيب .

إسلام فيه هموم الحلال والحرام وفيه الحساب والآخرة
عندنا ليس نهاية بل بداية
وعدنا هو الله فى المبدأ والمنتهى
حضارة العلمانية فمنهجها افعل ...

لا تؤذى غيرك . ليس أمامك إلا هذه الدنيا فخذ منها أقصى [illegible]

... علانية وتوصلها إلى ... وتقوم بذلك دول ... شركات كبرى وقد ... على الأديان أبواب الكنائس ... حتى لا ... فكرة غير مطروحة ... والغيب لا وجود له ... هم الذين يفرضون ...هم . وأسلوب حياتهم علينا بالصحيفة والكتب والسينما والمسرح والتليفزيون والأقمار الصناعية وهم الذين أعلنوا علينا حرب ليس فقط بالتصفيات الجسدية والمذابح وإنما بالتصفيات الفكرية والعقائدية والغزو الثقافى

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

[البقرة : ٢١٧]

﴿ ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وهذا السر .. وهذا الدافع الحقيقى وراء تلك الحرب الشرسة التى بدأوها علينا فى جميع الجبهات (بعد الترويج المستمر والكاذب بأننا نشكل خطرا على حضارتهم .. حتى يبرروا حملات الإبادة التى يباشرونها) . إنه الحقد الكامن والحسد والرغبة فى أن يجرونا إلى هاويتهم لنكتوى جميعا بمصير واحد

ثم يضع القرآن يدنا على الخلاصة المفيدة

﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ [المائدة : ٨٢]

إنهم اليهود إذن .. هيئة أركان الحرب التى أعلنت هذه الحرب ونظمتها .. إنها الصهيونية العالمية التى تمقت الإسلام مقت الموت .

وذلك لما فضح القرآن فى آياته مرارا وتكرارا ما يدبرونه وما يبيتونه ، وما يصنعونه من فتن وحروب .

﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وللصهاينة الآن من يمثلهم فى جميع مستويات صنع القرار فى أمريكا وفى انجلترا وفى الدول الأوروبية ، وقد تسللوا إلى تلك المناصب عبر شبكات الماسونية فى الألف سنة الأخيرة .. ولهم الآن من يمثل مصالحهم حتى فى الدول العربية ذاتها وفى قلب الدول الإسلامية الأصولية .

والقرآن تنبأ بعلو شأنهم ثم بدمار دولتهم .. ولهذا انعقد عزمهم على محاربة كل ما هو إسلامى وعلى إزهاق هذه الروح الدينية الإسلامية فى جميع مظانها واقتلاع الإسلام من جذوره

.. ستقف على قدميه من جديد ، ونحن فى بداية هذا العلو وما يجرى حولنا هو مكرهم وتدبيرهم .

ولا خطر من الإسلام ولا من دول الإسلام على الحضارة ، أى حضارة وإنما الخطر [illegible] .. وما خطر الإسلام إلا أكذوبة .. يروجونها . وما القنابل التى تتفجر هنا وهناك إلا مكائدهم .

وهم يتكلمون من عشرات الأبواق فى وقت واحد .

الأمم المتحدة ومجلس الأمن والكونجرس ، وكل الصحف أبواقهم وصوتهم يصل مكبرا أضعاف حجمه .

وهم يملكون الترسانة الإسرائيلية والترسانة الأمريكية والترسانة الأوروبية وربما الترسانة الروسية أيضا فى هذا الحلف الذى يجمعهم ضد الإسلام ورموزه .

وذلك هو العلو .

ولكنه علو باطل ملفق .. لأنه علو طفيلى متسلق على إمكانيات الآخرين وغفلتهم .

وسوف نرى نهايته فى السنوات الخمس القادمة ولن تطول دولتهم لأن التاريخ الآن يجرى ، والأحداث تهرول فى إيقاع سريع لاهث .. وما كان يحدث فى مئات السنين يحدث الآن فى أسابيع وشهور .

وما بين عصر الفحم وعصر البخار وعصر الكهرباء وعصر الذرة مئات السنين ..

الآن ما بين عصر الكمبيوتر وعصر الهندسة الوراثية وعصر الفضاء سنوات تعد على أصابع يد واحدة .. وما بين اختراع واختراع آخر دقائق وأحيانا ثوان .

كم لبثت امبراطوريات الروم والفرس وكم لبثت الامبراطورية

السوفيتية .. فرق بين مئات السنين .. وعشرات السنين ..

وسيكون العلو الإسرائيلي أقصر عمرا وبكثير . لأنه علو مستعار بسيقان مستعارة وقوى دولية مستعارة ، ولأنه قائم على الاستغفال وسوف يكون السقوط مدويا بأكثر مما كان السقوط السوفيتي وستكون العبرة أبلغ

إنهم يقولون إن الله وعدهم في التوراة بملك ما بين النيل والفرات وبالسيادة على كل الأمم ، ونحن نقول إن الله أيضا وعدنا بنهايتهم ونحن في زمان الوعد يا ساده

ولهذا يحدث كل ما تشهدون . وسوف تتداعى أحداث التاريخ بأسرع مما يدبرون ، وسوف يسبق عليهم أجلهم بأسرع مما يتصورون

فإن تخلف ولاه أمورنا عن مجابهتهم ولم يسارعوا في وحدة الصف الواجبة فإن الله سوف يستبدل بهم من هم أشد منهم إيمانا وولاء .. والله يقول لهؤلاء الحكام

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

[محمد : ٣٨]

والله يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وليس لله في ملكه شريك

حكاية السلام

مشروع السلام الامريكى بين الفلسطينيين وبين إسرائيل مجرد جزيرة معزولة في بحر من سوء الظن وانعدام الثقة وقد أوشكت الجزيرة على الغرق بعد رصاصات باروخ جولد شتين وقتل الركع السجود في الحرم الإبراهيمي وكانت محاولات جميع الأطراف لتعويمها محاولات مفرطة في التفاؤل ...

وكان تعجل إسرائيل لقطف ثمار هذا السلام المزعوم قبل أن ينضج وطلباتها المتسرعة لإنهاء المقاطعة وفتح الأسواق وتطبيع العلاقات قبل أي اتفاق .. كانت طلبات مريبة تكشف عن تاجر جشع لئيم يريد أن يقبض الثمن كاملا قبل تسليم البضاعة

وبهذه الروح الجشعة لن تكون إسرائيل طرفا عادلا في السوق الشرق أوسطية المزعومة ، بل إن هذه السوق سوف تكون شكلا آخر من أشكال التخطيط الجشع للتربح والاستغلال والهيمنة واقتناص الفرص وتحقيق المصالح التجارية على حساب الأطراف العربية كلها .

وإذا كانت هناك دول خليجية تريد أن تسبقنا إلى تلك السوق فلتهرول كما تشاء . ولكن مصر بثقلها وإمكاناتها وأسواقها في غنى عن هذا الارتماء الرخيص في أحضان تلك الشراك العنكبوتية .

وسوء الظن في النيات الإسرائيلية (وهو سوء ظن قائم على أساس وليس وهما) لا يسمح بقيام أمثال هذه المشاركات الاقتصادية الخطرة ومنذ أربعين سنة وإسرائيل تمارس القتل والطرد والتصفيات والمذابح (ومازالت) .

بل إن فكرة الوطن الإسرائيلي قامت على القتل والإرهاب فعلى أي أساس من حسن الظن يمكن أن تقوم مثل هذه السوق .

يا سادة انتم لن تستطيعوا أن تغيروا طبائع الأشياء .. وكل ما سوف تفعلونه أنكم سوف تقدمون العرب كلهم لقمة سائغة إلى فم الذئب . وفي اللحظات التي أكتب فيها هذا الكلام هناك طلعات لطائرات القتال الإسرائيلي تدك بقنابلها إقليم التفاح .. وهناك رصاص إسرائيلي يقتل الشباب الفلسطيني في غزة

والخليل .. وهناك مظاهرات فى داخل إسرائيل تطالب بالمزيد من القتل .

وهناك ترسانة سلاح نووى وكيميائى وميكروبى وأسلحة دمار شامل أكثر من مجموع أسلحة العرب تحتفظ بها إسرائيل وترفض إسرائيل التخلى عنها .. فعلى أى أساس يتكلمون .

وأمريكا وهى أكبر قوة عالمية نراها منحازة إلى إسرائيل تمام الانحياز ، ونجدها تمنع مجلس الأمن من إصدار إدانة لمذابحها ، ونراها تحميها بالفيتو وتسلحها بكل جديد مدمر فى ترسانتها وتغمرها بمليارات الدولارات .. والسفاح باروخ جولد شتين لم يقتل الستين قتيلا وحده فقد عاونه الجيش ، وهبت إسرائيل كلها تباركه وتهتف له وتعلق صوره فى كل مكان .. وما مشروع السلام الامريكى إلا عملية مكياج مفضوحة .. فعلى أى أساس تحسنون الظن .. وكل الواقع المرير يقول غير ذلك .. وكل المنطق ضد تخيلاتهم .. يا حكام العرب .. لا تضيعونا معكم .

سواح ..فى دنيا الله

ساعة الفصل

قال ربنا : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾

[الاحزاب : ٧٢]

ماذا فعل الإنسان فى ذلك الذى أشفقت منه السموات والارض ؟!

ماذا فعل الخليفة فى الخلافة التى آلت إليه ..؟!

وماذا فعل فى الأمانة التى أخذها على عاتقه ..؟!

لقد رفضت السموات والارض والجبال أن تحمل مسئولية تلك الأمانة . وقالت لا نريد أن يكون لنا أمر ، ولا تصريف فى شئوننا معك يارب .. أنت يا رب حسبنا .. تصرفنا كيف تشاء ..

نعمل بأمرك ولا نستخلف على شيء» ..

أما الإنسان فقد قبل الخلافة وقبل مقتضياتها .. أن تكون له حرية وتصريف ، وأن يكون له عمل ، وأن يكون له رأى وأن تكون له استقلالية فى مملكته .

وأعانه الله فأعطاه العقل والحرية وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه .. ومد له فى الأسباب .. فماذا حدث ؟

لقد تنبأ له القرآن بأنه كان ظلوما جهولا بنفسه فى قبوله لتلك المسئولية .. فقد تعهد بما لا يستطيع ، وحمل ما لا يقدر

وقد صادقت الحوادث على تلك النبوءة .

لقد أطلق الإنسان يده فى الأرض فأفسدها .. لوث البحار والأنهار بالنفط والمبيدات ومخلفات المصانع وسموم المعادن الثقيلة .. لوث الجو بغازات الكبريت وأكاسيد الأزوت والكربون والرصاص . واتخذ من قلب الأرض والبحر مخازن للموت النووى والرعب الذرى يدفن فيه النفايات القاتلة لصناعاته المهلكة .. فأتلف الميراث الذى تسلمه من سيده ومولاه

وأرسل له الله الرسل يهدونه إلى الشرائع فخرق الشرائع وطلب اللذة من وجوهها الشاذة باللواط والسحاق " وخرجت قبائل من الشواذ تطالب بشرعية الفسق وتقنن زواج الرجال بالرجال ، وزواج النساء بالنساء ، وتسير فى مظاهرات علنية تطالب بحقوقها وتتخذ لها النوادى المرخصة .. ورأينا فى زماننا العجيب تقنين هذه المخالفات يحدث أمام عيوننا ، ومراسيم الكونجرس تقرر المساواة بين الشواذ والأسوياء فى جميع الوظائف حتى وظائف الجيش .

وتفنن الإنسان فجعل من الحرية الجنسية شريعة مملكته ،

وأقام للزنا مؤسسات وأقماراً فضائية تنشره ، وأبدع فى إخراجه ... يع أوضاعه فى أبهة من الألوان ومواكب من الزخرف ... ـاجر له الجميلات والفاتنات من كل جنس وعرضهن ... . وبث العهر مباحا لكل من يشترى « طبقا » ولكل من ... هوائى استقباله » إلى الفضاء . وقامت دول كبرى ... هذه الصناعة الجديدة ونشرها وتنافست شركات السينما فى السبق إلى الموضة الجديدة وجرى المسرح وراءها .

... احر خبر جاء من أمريكا حكاية الممثلة الأمريكية كيم ... ر التى رفضت تنفيذ بعض المشاهد العارية فى فيلمها الذى ... ت عليه (فيلم هيلينا) فرفعت عليها الشركة قضية ... ص وجاء حكم القاضى بغرامة ٨ ملايين دولار تدفعها ... لأنها رفضت خلع ملابسها الداخلية وامتنعت عن تنفيذ ... يو كما أراده المخرج .

قلبت الأوضاع وأصبحت التى تدفع الغرامة هى التى تتمسك ... ة وترفض الفجور . وأصبح « الشرف » هو الجريمة التى ستدعى توقيع أقصى العقاب !

وأصبح الحجاب هو الذى يدعو إلى المساءلة حتى فى بعض بلاد الإسلام !

وفى تركيا عوقبت نائبة البرلمان بالحرمان من الجنسية لأنها رفضت خلع الحجاب .

وفى السياسة أصبح الظلم شريعة اسمها الحركى « حقوق الإنسان » واصطنعت الدول العظمى نظاما جديدا للعالم يكون للعدالة فيه أكثر من مكيال لـلدول النامية مكيال ، وللدول العظمى مكيال . ولا تكون حقوق الإنسان لكل إنسان وإنما على

حسب موقف هذا الإنسان معهم أم عليهم وعلى مقتضى المصلحة العاجلة للدول العظمى ذات الشأن ساعتها والمصالح تتغير من ساعة لساعة .

هذا الغش العلنى فى القيم والمعايير ، وهذا الغش العلنى فى المثل والأخلاقيات أصبح هو القاعدة فى عالم اليوم .

وإذا تصورنا لسلوك هذا الخليفة خطاً بيانيا لرأيناه خطاً يسير إلى النازل طول الوقت من بداية آدم إلى الآن . يسير من انحدار إلى انحدار إلى غور سحيق .

وعلى العكس من ذلك ننظر إلى الخط البيانى الآخر الذى يعبر عن نصيب هذا الإنسان الجاحد من النعمة الإلهية ، فنجده صاعدا طول الوقت إلى الأغنى والأقوى والأكثر حظا فى كل شىء .

نصيب هذا الإنسان من المال والولد ، ومن ثمار الأرض ومن العلم الذى أفاءه الله عليه وعلى سلالته فى جميع فروع المعرفة .. الصناعة .. الزراعة الطب .. المواصلات . الدفاع .. الكيمياء . الفيزياء .. الفلك .. الفنون .. الثقافة كان فى الزيادة دائما .

الواحد (آدم) أصبح ببركة الله ستة آلاف مليون آدمى .. مشى على القمر ، وأرسل السفن إلى المريخ والزهرة وأورانوس والمشترى وأرسل الكاميرات الفلكية إلى ما وراء الشمس وأرسل المجسات الفضائية تقيس الأشعات الخفية فى أرجاء الكون . وزرع الأرض بالميكنة وضاعف المحصولات بالهندسة الوراثية واستولد الجديد المبتكر من الفواكه والثمار ، واخترع السيارة والقطار والطائرة والصاروخ وسبق الصوت فى سرعته بعدة أضعاف ، وأرسل الصور بالراديو والتليفزيون والفاكس واخترع

الحسابات والذاكرة الكومبيوترية المذهلة وصنع الأعاجيب فى الطب والجراحة .

وزرع قلوب الموتى فى الأحياء وزرع الشعر والجلد والكبد والكلية والأمعاء والرئتين وزرع أجهزة السمع والبصر فى الدماغ وأنشأ بنوكا يحفظ فيها الحيوانات المنوية والبويضات فى درجة حرارة تحت الصفر لتعيش سنوات وتكون تحت الطلب حينما يريد أن يستولد منها أجيالا جديدة .

وقضى على الجدرى وأوشك أن يقضى على التيفود والتيفوس وشلل الأطفال والجذام . وامتد بصره عن طريق المناظير الفلكية العملاقة ، فأصبح يرى شموسا على بعد ١٥ مليون سنة ضوئية ، واخترق بصره العالم الأصغر عن طريق المجهر ، فأصبح يرى الميكروبات والفيروسات وامتد سمعه إلى ما وراء المجرات فالتقط ضوضاء الانفجار الذى بدأ به الكون . أما قوة ذراعه فقد تعملقت إلى « ونشات » وروافع وصواريخ وقنابل ذرية وهيدروجينية وتحولت إلى قوة تدميرية هائلة .. وأخيرا . شبكة الانترنت .. عجيبة العجائب التى يتصل بها أطراف العالم التجارة الالكترونية ونشر العلوم والمعارف .. فماذا فعل بها الإنسان؟ .. استعملها فى نشر الدعارة واللواط والفسق الفورى عن طريق التخاطب الالكترونى .

وفى نشوة انتصاره ظن أنه الصانع الأوحد لكل هذا ، ولم يدرك مصدر كل تلك الإلهامات والعلوم والمعارف .. وقال مثلما قال قارون **﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾**

لم ير اليد الإلهية الخفية التى أعطت ، ولا الملائكة التى ألهمت

ولم يكشف له ربنا ما كشف لنوح حينما قال ﴿ واصنع الفُلْك بأعْيُننا ووحْيِنَا ﴾ [هود : ٣٧] .

فكان نوح يعلم أنه يتلقى عن ربه علم صناعة السفن .. أما كل هؤلاء المخترعين فكانوا محجوبين وظنوا أنهم هم الذين أبدعوا وابتكروا واخترعوا فامتلأوا غرورا ، وكانت النتيجة تلك الغطرسة التي أخذت بتلابيب هذا الإنسان فكان يزداد بطرا كلما ازداد غنى ، ويزداد تجبرا كلما ازداد قوة ، ويزداد كفرا كلما ازداد علما ! وكان هذا الرسم البياني العجيب . خطا صاعدا أبدا يشير إلى امتلاكه المزيد والمزيد من القوة والثروة والمعرفة طول الوقت يقابله خط نازل في انحدار مستمر يشير إلى سفالته وجحوده وقسوته وكفره .. كلما زاده الله نعمة ازداد جحودا !!

والعاقبة الطبيعية لكل هذا لا شك أنها تدور الآن في أذهانكم . إننا نقترب الآن من اللحظة الحرجة فربنا من أسمائه الحسنى نعلم أنه الصبور ، وقد صبر ربنا على هذا الجحود ثلاثة ملايين سنة هي عمر هذا الإنسان من أيام آدم أول البشر إلى الآن وهذا رقم فلكي في الصبر لا يقدر عليه إلا رب كريم حليم .. وما يزال الرب يعطي وما يزال الإنسان يجحد .. ويكفر ..

وقد أمده ربنا بمدد من الأنبياء والرسل والمعلمين والمؤدبين والمصلحين والناصحين .. ولم يثمر هذا المدد سوى قلة مستضعفة مهزومة من المؤمنين مضطهدين ومضروبين في كل مكان .. ومحل سخرية واستهزاء من كثرة علمانية مفترسة فاجرة تملك السلطة والأسباب والجاه والكلمة .. فلم يبق إذن إلا شيء واحد . كارثة شاملة تكون وقفة تأديب وإيقاظ لهذا الإنسان السادر في غفلته .. أو إعلام خاتم بنزول المسيح وظهور المهدي ليكون

الرحمة الأخيرة قبل الغضب العام الذي يهدم به ربنا الأرض ويطوي السموات على من فيها وما فيها !

وأشعر أنه قد أزفت الآزفة التي ليس لها من دون الله كاشفة ، وأننا نعيش بالفعل في زمان هذه الأحداث الكبرى .. أو أننا نقترب منها . وأن الكوارث الصغرى التي نعيش فيها مثل اضطراب الطقس وكثرة الزلازل وتفجر البراكين وكوارث السيول والفيضانات والأعاصير وظهور الأمراض والفيروسات التي تتحدى العلم البشري هي المقدمات المنذرة . إن عجلة التاريخ تسير الآن بإيقاع متسارع .. وما كان يحدث في ألوف السنين أصبح يحدث الآن في سنوات قليلة .. الانتقال من عصر الطاقة اليدوية إلى عصر الفحم إلى عصر البخار إلى عصر البترول إلى عصر الكهرباء استغرق ألوف السنين الآن يقفز التاريخ من عصر الذرة إلى عصر الإلكترونات إلى عصر الكمبيوتر إلى عصر الفضاء إلى عصر الهندسة الوراثية في بضع سنوات . وهذا يعني أن ما تبقى من تطور سوف يكون مضغوطا في حيز تاريخي قصير .. وأننا بالفعل نهرول إلى النهاية .

والاحتمال الآخر أن يستمر التاريخ على ما هو عليه لألوف السنوات وملايينها .. يمضي في رتابة كما هو ، ويزداد الإنسان علما ويزداد كفرا ، ويلوث الكون أكثر ، ويفسد في الأرض أكثر وأكثر ، ويتعملق في قواه وجبروته ، ويغزو الكون بحماقات بلا نهاية .. ويتحول البشر إلى ديناصورات جبارة يقاتل بعضها بعضا ، وتطارد كل صنوف الحياة في غباء .. وهو احتمال لا يصلح إلا إذا كان الكون بلا مكون ، والعزبة بلا بواب ، والأرض بلا صاحب ، والوجود بلا عقل .. وهو أمر مستحيل ،

فكل شيء في هذا الوجود من الذرة إلى المجرة ينطلق بالهندسة المحكمة والتدبير الملهم ويشهد بأن الله شاخص ماثل حاضر لا يغيب ولا ينام ولا يغفل ولا يسهو ولا يظلم مثقال ذرة .. وقد أهلك ربنا الدناصير الأولى ومسحها من الأرض حينما طغت وسيطرت على كل صنوف الحياة ، وضرب لنا مثلا لا ينكره إلا تفكير علماني غبي أو عناد كافر محجوب .

والذي بين أيدينا من شواهد ينفي هذا الاحتمال ولا يقول بتلك العبثية المتخبطة العمياء .. فالكون بصير وليس أعمى . وعينه هي الذات التي خلقته .. الله الحي الذي لا ينام . وهناك منطق في التاريخ وفي الحوادث يحكم كل شيء في خفاء واستمرار .. ولا شيء يذهب سدى .

ضعوا أيديكم على قلوبكم فقد مضى الكثير ولم يبق إلا القليل يا سادة .. فنحن مقبلون يقينا على أحداث كبرى .

الباحث عن لحظة هدوء في هذا الزمان لا يجدها .. إذا فتح الراديو تنهال عليه تشنجات قادة إسرائيل ، وتهديدات صدام ، وأخبار الزلازل والسيول والأعاصير وإذا فتح التليفزيون تنهمر عليه مسلسلات العنف والباتمان وحرب النجوم . وإذا طالع صحف الصباح تفاجئه أخبار انهيار البورصة وجنون البقر والإيدز وإذا بحث عن موسيقى يريح عليها أعصابه أو أغنية تهدأ لها عواطفه نزلت عليه لقطات الفيديو كليب تتقافز صورها وتتشنج رقصاتها وتتسارع إيقاعاتها في إزعاج متواصل .. وإذا فتح الشباك قرقعت في آذانه أبواق السيارات وأصوات الميكروفونات وصراخ الباعة ..

وإذا أغلق الشباك ونزل إلى الطريق خنقه الزحام .. وإذا انطلق هاربا إلى الاتوبيس لم يجد موقعا لقدم . وإذا حمل أوراقه وشهاداته وأسرع ليتقدم لوظيفة وجد طابور طلاب الوظائف يسد الشارع . وإذا بحث عن شقة لم يجد ثمنها . ولا احتمال قريبا فى عمل ، ولا أمل فى زواج ، ولا أمل فى حل سريع يأتى من السماء .. وفى آخر المشوار يسقط فى يده . ولا يجد حلا سوى أن يعود أدراجه إلى البيت إلى فراشه أو إلى ستين سنة إلى الوراء إلى ماض بعيد وإلى جيل انتهى . إلى الشدو الهادىء فى صوت أم كلثوم . وإلى الحنان الرخيم فى صوت عبد الوهاب .. وإلى دندنة هادئة مع العود .. بدون فيديو كليب .. وإلى الجمال البكر بدون افتعال . وإلى البساطة العذبة بدون صنعة .. وإذا مس زرار الراديو فى ذلك الزمان البعيد فإنه سوف ينقله إلى شوبان .. إلى الحلم والخيال الناعم . والسماوية الرحبة والشوارع أيامها خالية والمواصلات مريحة .. وشقق للإيجار تتدلى لافتاتها من النوافذ .. والمرتب يكفى وزيادة .. وجلسة على شاطىء النيل هى كل المراد .

ماذا حدث للدنيا ؟! ولماذا يصرخ المغنون .. ولماذا يتشنج الراقصون ؟! ولماذا هذه الإيقاعات المزعجة والموسيقى النحاسية التى تخرق الآذان ؟!

هذه الأمور تفصح عن فقر فنى .. وذوق فاسد .. وبلادة سمعية .. ما ضرورتها لصوت جميل بالفعل ؟!

وهذا التسويق الفج .. ما الداعى إليه .. لولا سوء البضاعة ورخص الموهبة ؟.. واضحكوا معى على الغلاء الطاحن . مع رخص الناس .. ورخص الفن .. وانعدام القيم .. وتفاهة البضاعة .

إننا معاقبون يا سادة بهذا الضنك . وتأملوا كلمات ربكم ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكًا ﴾ [طه ١٢٤] .

أليس عالم اليوم قد تلخص كله فى هذه الكلمة البليغة «الضنك» .. «والإعراض» ؟! أليس العالم قد أعرض تماما عن كل ما هو ربانى وغرق تماما فى كل ما هو علمانى ومادى ودنيوى وشهوانى وعاجل وزائل . والكلام على مستوى العالم كله !

الكل متعجل يريد أن يغنم شيئا وأن يلهف شيئا .. لا أحد ينظر فيما بعد .. ولا فيما وراء ..

الموت لا يخطر ببال أحد . وما بعد الموت خرافة .. والجنة والنار أساطير والحساب حدوتة عجائز . والذين يحملون الشعارات الدينية .. البعض منهم موتور والبعض مأجور والمخلص منهم لا يبرح سجادته ويمشى إلى جوار الحائط فهو ليس مع أحد وليس لأحد وإنما هو مشدوه ومنفصل عن الركب . ومشفق من العاقبة .. وهو قد أغلق فمه واحتفظ بعذابه فى داخله .. واكتفى بالفرجة .

والناس فى ضنك . وكل العالم أغنياؤه وفقراؤه .. كلهم فقراء إلى الحقيقة . فقراء إلى الحكمة .. فقراء إلى النبل .

وأكثر الانظار متعلقة بالزائل والعاجل والهالك

والدنيا ملهاة .

وهى سائرة إلى مجزرة . فالله فى الماضى كان يوقظ خلقه بالرسل والأنبياء .. واليوم هو يوقظهم بالكوارث والزلازل والأعاصير والسيول .. فإذا لم تجد معهم تلك النذر شيئا ألقى بهم إلى المجازر والحروب يأكل بعضهم بعضا ويفنى بعضهم بعضا [illegible]

وحروب المستقبل حروب فناء تأكل الأخضر واليابس وتدع المدن العامرة خرابا بلقعا .

ونحن على حافة الرعب والصراع المفنى وماذا يهم ؟! ماذا يهم ؟! فالمغنية تغنى وتتلوى على المسرح .. فى إيقاع أفعوانى تحت بقعة الضوء . والألوف يرقصون كالأشباح فى الصالة دون وعى ..

ماذا تقول ..

لا أحد يصغى إلى ما تقول .. وإنما الكل يصرخ ويصفق ويهتف ويتلوى كأفاع مسحورة .. والطبول والدفوف والإيقاع الهمجى قد حول الكل إلى قطعان بدائية ترقص فى شبه غيبوبة .

ولا تملك وأنت تستمع معهم إلا أن تفقد اتزانك وقدميك ثم تصبح جزءا من هذا اللاوعى المفتون . وقد خيم على الجو إحساس الكهوف البدائية

هل انتهت الحضارة فجأة . وعدنا إلى كهوف الإنسان الأول ؟! هل تبخر العقل . ولم تبق إلا غرائز تعوى وتتلوى على الطبول والدفوف؟! نعم . يا سادة . تلك هى نهاية علمانية اليوم .

وتلك هى احتفالية العالم بنهاية الإيمان .

احتفالية بالعقل الذى أسلم نفسه للهوى .

والحكمة التى نزلت عن عرشها للغرائز والإنسان الذى أسلم قياده للحيوان .

وماذا يهم ؟!!!

لا شىء يهم .. !!!

إننا نرقص اليوم للفجر .

وليكن غدا ما يكون .

هكذا تعلمنا فى سهرات « الدش » وإبداعات مادونا وجاكسون ونجوم الموجة الشبابية الجديدة وبرامج الأقمار والفضائيات القادمة علينا من أمريكا وأوروبا .

وذلك هو العصر العجيب الذى نعيش فيه ..

أمريكا - القطب العملاق الذى يحكم العالم - تخصصت فى صناعة الغيبوبة لشباب هذا العالم .. عن طريق أفلام الحب والعنف . والرعب وأساطير الخيال العلمى وعن طريق الرحلات الفضائية والصواريخ المنطلقة إلى القمر والمريخ وزحل والمشترى . وعن طريق ترسانة كيميائية تنتج عقاقير الهلوسة وإكسير الشباب والفياجرا ومن أمريكا خرجت أكذوبة الميلاتونين .

ومن أمريكا خرج الديسكو والجاز ونوادى الشواذ .. ومن أمريكا انتشرت صناعة الغيبوبة لتصبح صناعة مقررة فى أكثر الحكومات وسلاحا مشروعا تحارب به الأزمات وتشغل به الشعوب عن متاعبها .

سلاح اسمه « الهروب اللذيذ » . على أنغام الموسيقى والديسكو وعلى رقصات المادونا .

ولا أحد يكره أن يهرب من مشاكله فى ساعة لذة وإغماء غيبوبة بل كل مراهق يحلم بهذا الهروب اللذيذ ويسعى إليه .

وهذه الفكرة الإبليسية هى التى يدير بها الكبار العالم .

وحرب الخليج كانت هى « النهب اللذيذ » لبترول الخليج وثرواته .. ولكن الاسم المعلن لهذا النهب كان شعارات مبهرة عن تحرير الشعوب ونجدة الضعفاء ونصرة الديمقراطية وإعادة الشرعية . الخ . الخ . إلى آخر الأسماء الجذابة الخلابة التى

تدير الرؤوس وتسكر النفوس .

والإعلام هو دائما الأداة الإبليسية لهذا النهب اللذيذ .. والاستعمار اللذيذ .. والهروب اللذيذ ..

﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ ..

وما أعجب مايصنع القلم . وما أعجب ما يسطر ذلك القلم الذى يميت ويحيى ، ويسحر ويفتن ، ويوقظ وينيم ، ويبنى ويخرب ، ويهدى ويضل .

وهناك الآن أقلام عظيمة تجيد صناعة هذا « التيه »

ومؤسسات عالمية تصنع للشعوب الدوار . وتتفنن فى تسمية الأشياء بغير أسمائها .. وتسبغ هالات المجد على تفاهات .. وتروج للجريمة والشذوذ وفنون الغيبوبة .

وأصبح من لزوميات هذا العصر أن يكون فى أذن كل مستمع « فلتر » وفى عين كل مشاهد « فلتر » لكشف الزيف فى الكلمات والمرائى والمشاهد .. خاصة فى المشاهد العسل .. والكلمات العسل .. والوعود العسل .. التى يُقصد بها النوم فى العسل .

وإذا فتحت الـ C.N.N أو أى محطة أجعل هدفك هو البحث فيما وراء ما تسمع . البحث فيما وراء المقاصد .. وفيما وراء الأهداف من كل كلمة وكل خبر ولا تحسن الظن . فإن سوء الظن الآن هو من حسن الفطن .

ولا تنم على الشعارات والأمانى والوعود الطنانة فقد لا تصحو ولا ترى تحقيق تلك الوعود أبدا .. وقد تفاجأ بها تنقلب إلى ضدها .. مثل وعود نتانياهو واتفاقات أوسلو ومدريد وشعارات حقوق الإنسان التى يطلقها القطب الأمريكى الأوحد وضع كل هذا الكلام فى سلة المهملات وانظر فى الأفعال وسوف

رى . الأرض فى مقابل السلام تصبح الأمن فى مقابل السلام ، ثم . السلام فى مقابل السلام ، ثم . السلام فى مقابل لا شىء . وهذا هو الفيديو كليب السياسى .. واتفاقات « القص واللزق » كل يوم على مقاس الوعى العربى .. والصف العربى .. واللى مش عاجبه يشجب .

وهذا هو التياترو السياسى العالمى فى عصر كلينتون والمسرح الإعلامى الآن يضاء من جديد والصالة تضج بالتصفيق والهتاف والمادونا الفاتنة تتهادى فى ضباب الأضواء برقصها الأفعوانى .. والموسيقى تدير الرؤوس وتسكر النفوس والطبول تدق بإيقاعها الهمجى والدفوف ترتعش لتأخذ الكل فى دوامة من الدوار اللذيذ .. إنها مونيكا .

وجرعة أخرى من عقار الغيبوبة السحرى تتسلل إلى العروق وتلف الكل فى غلالة من النسيان ..

وبوركت ليالى الأنس يا صاح .. فما عاد أحد من الحضور يعرف نفسه .. ولا عاد أحد يدرى بمكانه .. أو زمانه أو حاضره أو ماضيه أو مستقبله ..

ولا شك أن التليفزيون جهاز خطير يدخل كلّ بيت ويفعل بنا أكثر من هذا ..

هذه العلبة السحرية .. وهذا الإصبع الذى اسمه الريموت كونترول . تضغط على زرار فتستدعى فرقة راقصة من الفولى برجير تأتى لترقص لك شخصيا .. وتضغط على زرار آخر فتستدعى بها ألفيس بريسلى من قبره ليغنى لك روائع أنغامه وضغطة أخرى وتستدعى بها كوكتيل من الأكاذيب السياسية فى أحلى عبوات من الكلام على لسان أكبر الشخصيات العالمية يلبس

فيهـا الباطل ثوب الحق وتختلط المفاهيم وتنقلب المـعانى فى عقلك ويلقى بك فى متاهات من التـزييف الحلو الجذاب الناعم ولا تعود تفهم شيئا .

وهذا هو الإعـلام الإبليـسى فى عصـرنا وحـينمـا تطفىء تلك العلبة الشيطانية .. تكون قد أصبحت رجلا آخر دون أن تدرى ..

وهذا هو عصرنا .. ولا أحد مـحـصن .. ولا أحد معفى من هذه المطاردة الخـفـية لتـشكيل أفكـاره وزلزلة نفـسه ومـحـو قـيمـه ومثالياته .

والفـضاء حـولنا يحتـشد بهـذه الجيـوش غيـر المنظورة التى تهاجمنا صباح مساء ولكل دولة كبرى مصالح .

ولكل دولة كبرى أغراض .

ولكل دولة كـبـرى مطالب منك ومن بلدك وأطمـاع فـيك وفى بلدك .

وصناعـة الغيـبوبة وغزو العـقل والاستـيلاء على الفكـر قبل الأرض أصبحت صناعـة العصر .. والتحكم عن بعـد فى الشعوب أصبح لعبة الكبار والصغار .

هل تجاوزنا السـياسة أم أننا لا نزال فيـها ؟! بل نحن فى قلب « المطبخ السـيـاسى » الـذى تطبخ فـيـه توجـيـهـات الشـعـوب واهتماماتها وتطبخ فيه مصائرها .

واقرأ المقال من جديد لتعرف أكثر .

ما هو الإنسان....؟!

هـل هو مـجرد الـصورة التى تراها لـنفسك حـينمـا تنظر فى المرآة .

هل الإنسان هو مجموع ما فيك من شحم ولحم وعظم وأحشاء ومجموع ما تتألف منه من عناصـر ومركبات وما ينطوى فيك من غرائز ورغبات وما يعشش فى عقلك من هواجس وخيالات .

هل هو مجموع المنظور والمحسوس والملموس فيك .

لا أظن أن هذا هو أنت .

هذا هو مـا يظهر لك ولى ولأجـهزة التـصوير والاستـشـعار المختلفة .. هذا هو مجرد الجانب الشهودى منك .

أما حقيقتك فهى فى « العمق » .. فى الجانب الذى يخفى عنا وعنك وعن جميع أجهزة الاستشعار وجميع وسائل الحساب المعروفة .. هى فى الجانب الغيبى فيك .. فمن هذا الجانب يأتيك المدد لكل ما يظهر وما يتجلى فى أفعالك .. وفيه تفسير الكتاب الجامع الذى اسمه « الإنسان » .

الإنسان يتضمن غيبا خافيا اسمه « النفس » .

ونفسك كانت موجودة قبل أن تتلبس بجسدك وقد استدعاها الله من ظهور أجداد أجدادك قبل أن يظهر لك أب وأم وقبل أن تأتى إلى رحم أمك من خلية ملقحة .

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ .

لقد نطقت نفسك ساعتها بدون لسان وشهدت على نفسها بدون جسد وعرفت ربها بدون مخ ..

وهذا هو أنت ..

ومعنى ذلك . أنه كان لك حضور غيبى وكانت لك شخصية غيبية كما أن لك شخصية مشهودة هى التى نراها الآن ..

ولا عجب فى ذلك فأنت فى الأحلام ترى بدون عينين وتتكلم بدون لسان وتسمع بدون أذن وتمشى بدون أرجل وأنت فى الأحلام تسافر إلى بلاد لم تطأها بقدمك ولم ترها بعينيك فيخيل إليك أنك تعرفها من أمد بعيد .

وفى الأحلام تتحدث إليك الشياطين والملائكة .. وفى رؤى الأنبياء يكلم ربنا أنبياءه .. وفى رؤى الناس العاديين تتحدث إليهم نفوسهم الأمارة بما تشتهى فكل الأحلام أحاديث .. كل نفس تتحدث على مستواها .. ولهذا سماها ربنا فى القرآن

« الأحاديث».. يقول ربنا ليوسف الصديق : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ٦] .

فسمى جميع الأحلام أحاديث .

والنفس طرف مشترك فى كل تلك الأحاديث . وهى تتحدث بدون لسان وترى بدون عين وتسمع بدون أذن .

وهى تسافر بدون مواصلات .. وتطير بدون أجنحة فترى الأم ابنها فى أمريكا مريضا طريح الفراش . دون أى مقدمات لهذا الخبر وذلك أيضا علم بدون معلم ورؤية لغيب محجوب .. فيلزم من كل هذا أن نقول إن الإنسان وجود غيبى وليس مجرد وجود مشهود وإن له نفسا تستطيع أن ترى وتسمع وتتنقل بذاتها .. وذلك هو اللغز الذى اسمه « النفس » أما الروح التى هى نفخة الله فى الطين لتقوم تلك النفس من العدم فذلك غيب آخر .. والإنسان كل هذا .

ومجىء النفس بأخلاق معينة وشخصية معينة بخيرها وشرها يدل على ثبوتية اختيار لتلك النفس فى حال عدمها .. حينما كانت مجرد أحد الممكنات . وذلك غيب ثالث أشد غموضا وأكثر إلغازا .

ولذلك يحاسب الله النفس على إجرامها . وشرها لأنه لم يخلقها مجرمة ولم يجعلها شريرة وإنما هى قد اختارت الشر وأضمرت الإجرام منذ الأزل .. وقبل أن يعطيها الجسد لتفعل ولا تفعل .

يقول ابن عربى « إن التشخص أزلى » وإن النفس كان لها ثبوتية وصف وثبوتية اختيار منذ الأزل حينما كانت مجرد « أحد الممكنات » .

هناك إذن ثلاثة مستويات من الوجود .. مستوى عالم الإمكان قبل الخلق ثم الاستدعاء الربانى للوجود . ثم ملابسة الجسد

الذى نعرفه بمواصفاته ثم النفخة التى جعلت منك ما أنت عليه .

ولا نعرف من هذه المستويات إلا المستوى الجسدى .. وحتى هذا لا نعلم عنه إلا القليل .. أما النفس وحالها فى عالم الإمكان .. والنفس حينما استدعاها ربها وألبسها حلية الجسد .. ثم النفخة الرحمانية وأسرارها . فكل هذا غيب مطلسم بالنسبة لنا ..

وذلك حظنا القليل التافه من المعرفة لأقرب شىء إلينا .. الإنسان ..

وهذه نفسك ..

فكيف تدعى معرفة نفوس الآخرين .

وكيف تدعى الإحاطة بالكون .

وكيف يأخذك الغرور بعلمك فتنسى ربك الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك .

فهلا سجدت لله حياء واستغفرت .

الله ...

لا يكتمل إيمان المرء حتى يدرك أن كل ما يحدث له من خير وشر هو شفرة يقول بها الله شيئا ، وهمسة يهمس بها فى أذنه .

وإن يكن الميكروب هو الذى يُمرض فى الظاهر فإن الله هو الذى أرسل الميكروب وكلفه بما فعل فى الحقيقة فلا شىء يحدث فى الكون خلسة من وراء خالق الكون .. وطفيل الملاريا فى فم البعوضة جاء مكلفا . والسقف الذى انهار على السكان فعل ذلك بميقات معلوم وكان من الممكن أن ينهار والبيت خال من سكانه ولكنه فعلها وهم نيام فقتلهم فى ميقات معلوم ولم يقتل الرضيع فى حضن أمه لحكمة مراده .. واللبيب هو من يفهم الإشارة ويلتقط العبارة .

والمرض سجن وهو أحيانا سجن مؤقت وأحيانا سجن طويل وأحيانا سجن مؤبد .. والسجين الملهم هو الذى يعرف لماذا أصدر الله أمرا بسجنه ولماذا خفف عنه الحكم ولماذا عفا عنه .. فالخلية السرطانية لا تنشط إلا بأمر من ربها ولا تتوقف إلا بأمر آخر .. والجينات التى تحكم الخلية هى مجرد أسباب ظاهرة ولا يعلم أحد إلى الآن لماذا يكمن الجين وينام ولماذا يصحو ويدمر ومتى يفعل هذا ومتى يفعل ذاك ؟

والمؤمن يرد كل شىء إلى مشيئة ربه ويراه ممسكا بمقاليد كل شىء ويرى بيده حركات الذرة والمجرة والفلك الأعظم وما فيه ومن فيه . ويراه المريد الأوحد فوق إرادات كل المريدين .. ويرى ما يجرى عليه من مقادير .. رسالة خاصة .. وشفرة يخاطبه بها . ويرى كل شر يصيبه . فى باطنه خير .. وكل بلاء ينزل به فى مضمونه حكمة .. إن لم تظهر الآن فسوف تظهر غدا أو بعد غد . ذلك هو الله الرحمن جل جلاله الذى قال سبقت رحمتى غضبى .

الكون ...

هذه الثلاثية كان لابد منها .. « الله والإنسان والكون » .. ليكون هناك معنى للدراما الكبرى التى تجرى حولنا والتى نقع فى محورها . فما كان ممكنا أن يخلق الله الإنسان ويعطيه الخلافة على لا شىء . فما دام الإنسان هو أكرم ما خلق وما دام قد أعطاه علم الأسماء كلها (أى علم كل شىء) وسخر له الملائكة والجن والشياطين والشمس والقمر والنجوم فكان لابد أن تكون هناك مملكة لهذا الملك . أرض يسكنها وكون يمرح فيه بعقله وبيئة

يسخرها ويستغلها بعقله .. وممالك نبات وحيوان يسود عليها ويعيش على ثمراتها وطيباتها .

وطبيعي أن يكون هذا الملك العظيم هو محل الامتحان والابتلاء .. على هذا الإنعام .. ومن قبل ذلك كان التدريب الأول في روضة الأطفال حينما أنزله ربه في جنة وارفة وقال له **﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾** .. كان هذا هو الدرس الأول في الطاعة والمعصية .. وكان الله يعلم أن آدم اختار الحرية والتمرد . وأنه سوف يأكل وسوف يطيع شيطانه .. وكان ضمن الدرس أن يتحمل المسئولية ويدفع الثمن فيطرد من جنته ومعه حواء إلى أرض الابتلاء .

كان ذلك الدرس الأول رحمة وتنبيها إلى عواقب النسيان والغفلة والخضوع للهوى وقد أراد به وبنسله أن يذكروا هذا الدرس .. لأن الخطأ سوف يتكرر والعقاب سوف يتكرر في مسلسل التاريخ كله منذ بدأ أول مرة ربما من مليون سنة أو أكثر إلى ما شاء الله من دهور وأجيال ربما نحن الآن في آخرها لنشهد ألوانا جهنمية من الشرور والمذابح والمحارق والحروب والمقابر الجماعية لألوف يقتلون وذنبهم الوحيد أنهم يقولون ربنا الله . ونشهد في الجانب الآخر ارتقاء مذهلا لذلك الإنسان بمواهبه وقدراته ليقتحم الفضاء ويمشي على القمر ويفلق الذرة ويطير في صواريخ ويغوص في غواصات ويبني المطارات الأرضية والمحطات المدارية المعلقة في السماء .. والمدن المستقبلية السابحة في الفضاء .

والامتحان مستمر بل هو الآن أصعب وأشق وأخطر مما كان

أيام الأكل من الشجرة في روضة الأطفال .. والنتائج النهائية ه رب بقيامة شاملة يطوى فيها ربنا السماوات كطي السجل للكتاب .. وتكون الأرضون كلها في قبضته ..

كان لابد إذن من تلك الثلاثية .. الله والإنسان والكون .. ليتم الامتحان ثم ليصنف الناس وفق منازلهم ودرجاتهم في عالم بلا موت نعيما بلا نهاية .. أو شقاء بلا نهاية .

وما أحسب أن هناك فلسفة أو مذهبا أو نظرية استطاعت أن تقدم رؤية متكاملة ومعنى لحياتنا بمثل تلك الرؤية الدينية .

وبدون الدين وبدون الله .. لا معنى لأي شيء .

أما العلم فإنه لا يرى أبعد من حواسه وأدوات استشعاره ولا يستطيع أن يفهم لأبعد من حساباته .. وبالنسبة للعلم المادي .. الله فكرة غير مطروحة . لأن العلم المادي لا يملك ميزانا أو مسطرة أو برجلا أو منظارا يستطيع أن يرى به الله جهرة أو يعرف وزنه أو مقداره .. فهو إذن غير مطروح بالنسبة للعلم وأدواته .. وربما طرح بالنسبة لفلاسفة ما وراء الطبيعة في شطحات من الظن والتخمين وتصورات لا تتفق بقدر ما تختلف ويكذب الواحد منها الآخر ولا تصل إلى شيء ..

وإنسان العصر الذي يعيش في دول أوروبا وأمريكا بدون إله . يعيش حياة رخاء ووفرة ولذة وقوة .. لكنها حياة أقرب إلى الانتحار . ذلك لأن الخواء يملأها .. واللامعنى في صميمها

ولو سألوني . لماذا آمنت .. نريد منك جوابا في كلمات .. لقلت في يقين وبلا تردد .. لأنه بدون الله .. لا معنى لي ولا لأي شيء .

ضيافة

طلعت الشمس وتبسم النوار وتفتحت البراعم وسالت حمرة الورد على خدود البستان وزقزقت العصافير ورقصت النسائم الحريرية مع أعواد الأغصان وجاء صباح جديد وليد .. وعلى الرغم من هذه الاحتفالية الجميلة المبهجة فالأرض تسيل دما .

لماذا يعتدى الواحد منا على أرض الآخر .. لماذا يغتصب ما فى يده .. لماذا يقتل الناس بعضهم بعضا ؟ ..

إن الأرض أرض الله والخيرات خيراته .. والخلق كلهم فى ضيافة الكريم الذى خلقهم ، لا يملك أحد منهم شيئا ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه مالك لأى شىء .

والذين وضعوا أيديهم على قيراط أرض سوف يتخلون عنه

ويرحلون رغم أنوفهم .. فلا مالك هنا سوى الله .. وكل الخلق ضيوف الرحمن لبرهة تطول أو تقصر .. أتى بهم خالقهم عرايا ويعودون إليه عرايا لا يملكون شيئا إلا عملهم .

إنها ضيافة وليست إقامة .. ودار عبور وليست دار خلود ..

مجرد كوبرى والكل مسافر مرتحل فى حالة مرور وعبور .. مجرد عبور .

والمسافر لا يحتاج إلا متاعا قليلا بسيطا هو متاع المسافر .. وهو يزرع خيمة أو يبنى كوخا مؤقتا ويستعمل كراسى وموائد من القش .

ولكن الكل الآن يبنى عمارات وأبراجا وناطحات سحاب ويمد فى الأرض جذور الخرسانة والحديد ، ويلطخ الحدائق بالأسمنت .. ويسكن فيها تياها فرحا بوهم البقاء الأزلى والخلود فى الأرض .

وهو ينفق الملايين على الزخرفة والتوشية بالذهب ويصنع معارج الرخام ويرفع أعمدة المرمر ثم يقتل جاره ليستولى على أرضه وأملاكه ليتوسع ويسرق كل ما تمتد إليه يده ويختلس ويبتز ويزوّر ويزيف ليضاعف أملاكه . وينسى أنها ضيافة .. وليست إقامة .. وأنه مسافر ومرتحل .. وينسى أنه حمل جثة أبيه وجده إلى القبر من قبل وأنه لاحق بهما لا محالة .. وأنه لا يوجد بشر واحد خلد فى الأرض .

إنها حالة من السفاهة العامة والغفلة العامة .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾

النسيان والغفلة وضعف العزم هى الصفات العامة فى كل البشر .

وبنو إسرائيل أكثر السلالات البشرية غفلة ونسيانا وجحودا وتكبرا وحقدا وعنادا .. وحينما اسكنهم الله فى أرض الميعاد ظنوا أنها لهم حق أبدى وملكية أزلية .. فعصوا وافسدوا واعتدوا بالمئات من قذائفهم على الجنوب اللبنانى .. كعربون تجدد به عهود السلام والوئام .

وهكذا كانت دائما عهودهم ومواثيقهم .

العماليق

نحن الآن فى عصر العملقة والعماليق .

العملقة فى العلم التى أدت إلى ظهور دول تملك القنابل الذرية والهيدروجينية التى تستطيع أن تمحو بها الحياة وتقضى على الشعوب وتدمر البيئة . وفى الجانب الآخر دول لا تملك القوت ولا تجد المياه النظيفة. وفى تلك العملقة الغاشمة لون من الإرهاب الدولى يتضاءل أمامه أى إرهاب من أى تنظيمات أو أفراد أو جماعات .

وهؤلاء الذين امتلكوا تلك الوسائل لا يعلمون أن الله هو الذى ملكهم .. وأنه هو الذى آتاهم العلم .. وهم مثل قارون الذى قال عن ثرائه :

﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾ .. فخسف الله به وبخزائنه الأرض .

وكان هذا شأن الله أيضا فى تعامله مع عماليق الماضى .. قوم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارهين .. وقوم عاد الذين قال لهم ربهم :

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء : ١٢٩-١٣٠]

وقال لهم محذرا :

﴿ واتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الشعراء ١٣٢] .

فما وسائل القوة وما العلم الذى حصلوه إلا بمدد منه وحده سبحانه الذى علم الإنسان مالم يعلم .

وقال فى سورة الزخرف :

﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف ٨]

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ [ق ٣٦]

إن الإهلاك والاستئصال هو سنة الله فى مثل هؤلاء . الذين مضوا والذين غبروا والذين يتألهون بقوتهم مثل الدول التى بين ظهرانينا . (روسيا وما جرى عليها مثل قريب) .

وما كلام الله إلا لعموم التذكرة فهو الذى يعطى ، وهو الذى يسلب ، لإعادة التوازن إذا اختلت المعايير ، وتجبر الأقوياء على الضعفاء وتألهوا على الناس بوسائلهم .

ونسمع الآن أن إسرائيل تقوم بتمشيط القرى الفلسطينية وكأنما ترى بعض ساكنيها كصنوف من الحشرات وصنوف من القمل يلزم فرزها من حين لآخر .. ثم نراها تزرع فى حدودنا ترسانتها النووية ، وتبادر بتدمير أى محاولة لبحوث نووية حولها وتستخدم الآلة الأمريكية السياسية فى تهديد إيران وباكستان وكوريا والعراق وليبيا . وأى مكان فيه مظنة نشأة قوة نووية . ليكون لها وحدها العزة والجبروت .. ولتكون الديناصور الوحيد فى المنطقة .

ومن قبل ذلك اهلك الله الديناصورات جميعا ومحاها من الأرض بضربة واحدة ليقول بذلك إنه لا استثناءات فى السنن

الكونية وإن ما يجرى فى عالم الإنسان يجرى أيضا فى عالم الحيوان وسائر الخلائق .

وفى الأماكن الاستوائية التى يتكاثر فيها البعوض بشكل وبائى يسلط عليها ربنا أنواعا من الحشرات المضيئة تجتذبها وتأكلها .. ونرى أمثال ذلك فى كل بيئة طبيعية حتى فى المزارع الميكروبية والبكتيرية وفى عالم الدقائق الميكروسكوبية فقد خلق الله الكل ليعيش الكل وليس لينفرد جنس بالحياة دون الآخرين .

فهو الخالق الحافظ المدافع عن كل مخلوقاته .

وإن ربك لبالمرصاد .

وانتظروا .. إنى معكم رقيب .

الرحلة الأبدية !

يظن أكثر المفسرين أنه بدخول المؤمنين الفائزين الجنة ينتهى الكفاح ولا يعود للمؤمنين عمل سوى الاستمتاع بأطيب الطعام وبالحور العين .. ونقرأ فى كتب التراث كلام أهل السلف الكرام بأن أهل الجنة لا شاغل لهم سوى فض الأبكار وأكل الثمار على شواطىء الأنهار .. ولكن تأمل القرآن وقراءة آياته بتدبر يقول كلاما آخر .

يقول القرآن عن المؤمنين :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾
[الحديد : ١٢]

ثم يتكرر المعنى نفسه فى سورة التحريم الآية (٢٨) مع

إضافة جديدة لافتة للنظر :

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
[التحريم : ٨]

وهى لفتة ذات معنى عميق تدل على أن الحكاية لم تنته بعد

وأن أهل الجنة يشعرون بأنهم لم يبلغوا الكمال بعد ولم يكتمل نورهم .. وهم يدعون ربهم :

﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ﴾ .

يغفر لهم ماذا .. ألم تنته المحاكمة والحساب وصدر الحكم النهائي ونالوا الرضا والبركة والجنة .

لا لم يبلغوا الكمال بعد ولم يكتمل نورهم .

والمعنى واضح .. إنه ما زال هناك سعى وترق في المنازل وتكامل فى النور الذاتى .. ومازال هناك نقص .. والنفوس تسأل ربها المغفرة . وتدرك هذا النقص الذاتى فى نورها وإنه لا خلاص منه إلا بمغفرة .

يقول ربنا للإنسان فى القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] .

إن الكدح « هو رحلة الإنسان وترقيه الأزلى للتكامل ليصل إلى اللقيا المباشرة مع ربه » هذا الكدح أبدى . وهذه الرحلة أبدية لأن الله فى المطلق والإنسان فى المحدود المتعين المقيد .. والفرق بين المخلوق والخالق هو الفرق ما بين الزمن وما بين الأبد كله .. وطوال هذه الرحلة الأبدية سيظل الإنسان يبرأ من نقائصه ويتكامل ويترقى إلى مالا نهاية .

وليس صحيحا ما يقول السلف إن حياة أهل الجنة هى فض

الأبكار وأكل الثمار على شواطىء الأنهار .. تلك أحلامهم الحسية .. والجنة أرفع من ذلك بكثير .

الجنة معارج من الترقى والصعود إلى الله والكدح إلى الله ..

وهى أمور أعلى وأشرف مما جرى لأهل النار الذين انتهوا إلى أسفل سافلين .. وأصبح عليهم أن يقطعوا طريق المشقات والأهوال أضعافا مضاعفة .. ولم تعد الأبدية تسعفهم للخروج مما هم فيه .

﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] .

لعجزهم وقصورهم ملازم لهم .

هناك إذن أسرار وغيوب ومراحل وأحقاب لا يعلم غوامضها إلا الله .. وليست الجنة هذا المفهوم السلبى لإنسان كسلان يقطف الثمار ويفض الأبكار وهو مستلق على ضفاف الأنهار .

والجنة فيها اللذائذ الحسية ولا شك ولكن فيها أيضا ترقى لآفاق معرفية لانهائية وفيها تكامل وتطور واستنارة وقربى ..

والقربى إلى الله لا مكان فيها ولا زمان ولا حيث ولا أين وإنما هى اقتراب لا نهائى من مطلق لا نهائى ومن كمال لا نهائى فى آباد بلا حدود .

وهنا العظمة الحقيقية للجنة ولسعادتها ولذتها الرفيعة ونعيمها .

ولم يتوسع ربنا فى كشف هذه الغوامض لعلمه بحب الكثرة من البشر للكسل واللذة السلبية التى لا تكلف صاحبها شيئا سوى أن يملأ فمه ويملأ حضنه . فأخفى الله هذه الأسرار لحينها .. ولكنه أشار .. فى هذه اللفتات القليلة .. وفى لمح بارقة إلى تلك الأسرار .

ولا شك أن الكسالى والسلبيين لا يستريحون لهذا المعنى ..

وسوف يقولون فى خشية .. « إحنا رايحين نشتغل تانى فى الجنة فيها شغل كمان » .

والمعنى مختلف .. فليس فى الجنة « شغل » .. وإنما انشغال وحب وهيمان وتطلع واستشراق وشوق ونزوع وترقى .

وهو بعد آخر لا نفهمه بكماله فى دنيانا .. ولا نعرف حلاوته إلا حينما نذوقها ولا ادعى أنى أعرف الجنة أو أنى زرتها فى خيال أو منام . وإنما أنا آخذ من كلام ربى وأحاول أن أفهم .

وأسمع المؤمنين فى الجنة يسألون الله المغفرة .. وقد انتهى الحساب وصدرت الأحكام وانتهى العتاب وتصافت الأرواح واستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقد سمع الكل نداء الملائكة .. يا أهل الجنة نعيم ولا موت .. ويا أهل النار عذاب ولا موت .. جفت الأقلام وطويت الصحف .

فما طلب أهل الجنة للمغفرة هنا .. إلا أن يكون إدراكا للنقص وشوقا إلى كمال لا سبيل إليه إلا بعون الله ومغفرته .

ثم هم أدركوا بالفعل أن نورهم ناقص لم يكتمل بعد وقالوا لربهم ربنا أتمم لنا نورنا .. (والطلب صريح) ..

إن الكلمات قليلة ولكنها كاشفة بشكل قطعى على أنهم مقبلون على رحلة وأن فى النفوس شوقا وتطلعات ونقصا تتمنى تلك النفوس المشبوبة حبا أن تتخلص منه .. وأثقالا تتمنى أن تتخفف منها وأنها تتمنى أن تنطلق سابحة فى الملكوت لتعرف أكثر وتتنور أكثر وتنعم أكثر .

نعم .. إنه الكدح صعدا وارتفاعا وترقيا وتطورا .

وهو الكدح الجميل هذه المرة .

إنه الكدح بلا مرض وبلا جوع وبلا تعب وبلا موت

إنه الكدح إلى حضرة الله رب العالمين صاحب العرش العظيم ومالك الملك العظيم .

وما أحلى هذا الكدح ..

إنه النعيم الذى لا يوصف .

والذين يسيل لعابهم على الكواعب والحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون وكؤوس الخمر والسلسبيل سيجدون هذا ولا شك ..

ولكن ستتفتح شهيتهم إلى ما هو أعظم .. وألوان الفواكه والثمار والمشروبات لن تكون نهاية تطلعهم .. والرضى ليس له شاطىء .. والطموح ليس له حدود .

ألم يقل ربنا عن أحبابه :

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وقال لنبيه :

﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ فأى رضى للمحب دون الرضوان الأكبر .. وأى رضوان أكبر من مطالعة الوجه الكريم .. وجه الحبيب الذى دونه اللانهاية والتى ستكون غاية النعيم والذوبان الكلى والاستغراق العذب والسعادة القصوى التى لا توصف .

وهذا هو المفتاح الحقيقى لمعنى الجنة وكيف تنال كل نفس من هذه الجنة بقدر همتها وطموحها وترقيها واستحقاقها الأزلى ونورها الذاتى . المسألة كما ترون أكبر بكثير من فض الأبكار وأكل الثمار والاستلقاء السلبى على شواطىء الأنهار .

والذين أفاض الله عليهم من نعم الدنيا من أهل المشاعر والنفوس العالية يعرفون العزف عن هذه الحسيات والشوق الحارق إلى ما وراءها .

إنهم قد عرفوا شميم هذا النعيم الآخر المحجوب وتطلعوا إليه وهم بعد فى بشرية الدنيا وقيودها .. وهم يتعجلون الخلاص من هذه الدنيا شوقا إلى المحجوب المحبوب هناك .

ولهذا نفهم كيف أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يطوى بطنه على بضع تمرات ويكتفى بها طعاما ولا يسأل عن المزيد لأنه مشغول دائما بمقتضيات همته العالية وأشواقه الرفيعة التى تأخذه دائما بعيدا عن هذه الدنيا إلى فيوضات ربه .

إن القرآن كتاب عجيب .

وعلى الرغم من اهتمام القرآن بتفاصيل المسائل الدنيوية وواجبات المؤمن فيها وعمله الدائب من أجل إصلاحها .. فإنه يفتح لنا نوافذ عظيمة على السماوات الأخرى والملكوت المحجوب ويقدم لنا فى لمحات خاطفة مايثير عقولنا واشواقنا لهذا الملكوت الممتد وراء حواسنا بلا نهاية .

سواح .. فى دنيا الله

لحظات النشوة

لا اظننى وحدى الذى عشت تلك اللحظات وباشرت ذلك الشعور .

ذلك الإحساس المؤنس قد عاشه كل منا حينما بلغ شاطىء البحر وألقى بكل همومه خلفه وطرح الدنيا وراءه وألقى بنظرة شوق عانقت المياه اللازوردية وغرقت فى لا نهائية الأفق واستسلمت لتلك المعية المبهمة .. ذلك الحضور الغيبى . ذلك العناق الجميل مع المطلق .

فأنا وحدى ولست وحدى . فمن وراء الزرقة اللازوردية ومن خلف همهمة الموج ومن وراء هذا الإطار البديع واللوحة المرسومة بإعجاز ، هناك يد الخالق المبدعة لكل هذا .. هناك ذات الرسام

انشقت عنها الحجب واستشفها الوجدان واستشرفتها البصيرة .

فكأنما يدور الخطاب بين ذات الرب وذات العبد .. وكأنما يقول لي ربي : ليس بيني وبينك أنت .

هذا أنا وأينما توليت فليس ثمة إلا وجهي .

كل شيء لي فكيف تنازعني مالي ؟.. كل شيء لي وأنا لا شريك لي .

حتى « الأنا » لي وأنت تدعيها لنفسك .. وهي لك نفحة مني أعطيها متى أشاء وأستردها متى أشاء .

هي لحظة فريدة من لحظات التجرد الكامل يشعر بها أصحاب القلوب في مجابهة الجمال . لحظة من لحظات التبري والتخلي عن كل الدعاوى والمآرب والأوطار .. والخضوع لصولة الجمال والجلال .

لحظة استنارة وإدراك وتوبة وتنازل وإعادة الحق لصاحبه

ارتفع الحجاب .. وما كان حجابي سوى نفسي .. سوى « الأنا » المعاندة داخلي .. فما عادت في داخلي أنانية ولا منازعة ولا ادعاء لحق .. فقد أعدت كل الحق لصاحبه .. لله وحده .. فالله وحده هو الحقيق بأن يقول . « أنا الذي هو أنا » . إنما أقولها أنا على وجه الاستعارة .

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال ١٧] .

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأنفال . ١٧] .

فهذا هو الله يفعل على الدوام وهو الفعال لكل شيء حينما نظن أننا نحن الذين نفعل .

وحينما يبدو أن الطبيب هو الذي يشفي والطعام هو الذي يشبع والماء هو الذي يروي والسهم هو الذي يقتل .. فإنما هي

الأسباب تفعل في الظاهر والله من وراء الأسباب يفعل في الحقيقة .. هو .. إنه هو دائما هو هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

ولحظة الكشف أشهدتني الإبداء والإعادة في حكومة التفريد ومحت عني ما يرجع إلى ذاتيتي ومحت عني « الأنا » الأنانية داخلي .. ورفعتني إلى ذروة معرفية .. وإلى مقام « ما ثَمَّ إلا الله ».

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام ٩١]

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الأنعام : ١٦٢]

انتهى في داخلي كل ما يخصني .. فأنا كلي لله محياي ومماتي ونسكي وصلاتي .

أكاد أسمع صوت الله في قلبي :

ألق الاختيار ألق المؤاخذة البتة .

تنازلت ساعتها عن اختياري ورضيت باختيار الله وأسلمت ناصيتي لربي فسقطت عني المؤاخذة وحقت لي المودة .. وذلك هو الإسلام الكامل إسلام «الأنا» لخالقها يقلبها في الأحوال كيف يشاء.

سقطت كل الدعاوى وعدت إلى المبتدأ .. إلى الفطرة والبكارة الأولى حيث ما ثَمَّ إلا هو ..

وذلك مقام الفناء عند أهل الأشواق .

وهو حظ الأفراد الكُمَّل والأنبياء والصديقين والأبرار يعيشونه طوال الوقت ، أما نحن فحظنا من هذا المقام لحظة .

حظنا .. شميم .. ووقفة على العتبات ذات صباح .

يقول العارف الكامل محمد بن عبد الجبار بن الحسن النِّفَّري

(بداية الوقفة ألا يكون هناك « سوى » لتكون عنده وقفة

فأنت لا تعود ترى إلا الله حيثما توجهت)

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ١١٥]

لا شيء سوى الله .

على اتساع الوجـود .. لا موجود بـحق إلا هو .. وإنما وجودنا مستعار منه ومقترض من وجوده وموهوب من فضله .

ومن يؤت هذا الإحسـاس تكن حياته كلهـا شكرا ، وعذابه كله سكرا . يقول مولانا الشاذلي لربه مبتهلا :

(خذني إليك مني ، وارزقني الفناء عني .. ولا تجعلني محجوبا بحسي مفتونا بنفسي) .

إنه يريد أن يستحضر تلك اللحظات على الدوام ويعيش في هذا القرب طـوال حياته .. وهـيهات .. فـهذا مـقام لا ينال بالتـمني . ولا يبلغـه إلا آحـاد .. هم الذيـن سبـقـت لهم من الله الحـسنى .. وصنعهم الله على عينه .

ومن يتذوق تلك اللحظات يشتاقها ، ويتشممها ويتحسسها من وراء الحـجب والأسباب والمـظاهر ويراها في النعيم وفي الـعذاب وفي العطاء وفي الحرمان .

ويقول هذا العارف المشتاق :

ولولا سطوع الغيب في كل مظهـر . لأحرقني شوقي وأهلكني وَجدي .. فهـو يرى ذات الحق تسطع من وراء الحـجب والمظاهر وتبـدو له في كـل شيء في ابتـسـامـة الوليـد .. وفي تفتح البرعـم .. وفي طلعة الفـجر .. وفي حـمرة الشفـق .. وفي زرقة البحر . وفي عطر الوردة . وفي العطاء وفي الحرمان وفي البلاء وفي النعيم .

وهو يقـرأ مشيـئة الله في الحـوادث ويفض شفـرة إرادته في

مجريات التاريخ . والعارفون الكمل كالأطفال والأطهار يحيون في انبهـار دائم طوال الوقت ويقـولون . نحن في سعـادة لو عرفـها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

وهي ليست سعـادة السلبية والعزلة والانقـطاع بل هي سعادة إيجابيـة فاعلة ، الكاملون منهم مـثل سيدي أبي الحسن الشاذلي وعبد القادر الجزائري ونجم الدين كبرى حاربوا الصليبيين والتتار وقاتلوا الاسـتعمار في الشـمال الأفريقي وفي السـودان وتصدوا للباطل حيث كان ولم يركنوا للعزلة ولا للتواكل .

وكان نجم الدين كـبرى يقذف بالحـجارة التتـار الذين يرمونه بالنبل .. وهو يترنم في نشوة هاتفا :

(اقتلني بالوصال أو بالفراق) .. حتى سقط في بركة من دمه ولفظ أنفاسه .

فلم يكن يبـالي على أي وجه كـان في الله مقـتله .. فهـو المحب المشتاق في جميع الأحوال .

وهؤلاء هم الأكـابر الأفـراد .. حظنا منهم لحظـة .. وشـمـيم حال .. وذكرى عطرة .. وتـلك هي طرافة التوحيد وتـرنيمة لا إله إلا الله .. تجدهـا شذرات متـفرقـة في الإنجيل وفي التـوراة وفي نشيد أخناتون وفي كتـاب الموتى .. وتجدها مستخلصة مـجموعة مكثفـة عميقـة هائلة في القرآن ، وكأنمـا هي معزوفة سمـاوية أو سيمفونية علوية قدسية تترنم بها السطور والآيات

وفي بحار ابن عـربي وأبي حامد الغـزالي وابن الفارض وابن عطاء الله تجد سكارى التوحيد من الأكـابر الذين سجدوا فسجدت قلوبهم فلم ترتفع من سجدتها حتى لفظوا أنفاسهم

جعلنا الله منهم وختم لنا بالسلامة ببركتهم إنه سميع مجيب

●●●

والتجـلى الآخـر

وقد يعتب علىّ الأصدقاء الخلصاء ويقولون لى كيف تترك نفسك لتغيب فى هذا السكر والوصال الصوفى وقد عهدناك يقظًا لدرجة الصراخ ..

وأقول لهم .. إنما أسكر هذا السكر لأصحو وأفيق وأستجمع نفسى وأحتشد لألتحم من جديد بهذا العالم وأصرخ . فالواقع الذى نعيشه أمرّ من أن نصارعه فرادى .. إنما نصارعه بالله وبدون الله لا أمل ..

وكان نبينا يقول لربه (بك أحيا وبك أموت وبك أصول وبك أجول ولا فخر لى) .

وقد حاول جبابرة روسيا لينين وستالين وغيرهما أن ينهضوا بروسيا بدون إله وبدون دين فسقطوا بها وسقطوا معها إلى الهاوية .

ومثل تجلى الله البديع والجميل فى سماواته ، والذى ذكرناه فى وقفة البحر . كان تجلى الرحيم والرحمن والناصر والجبار والمنتقم فى غزوة بدر على قلة من المسلمين بلا عدة وبلا عدد فانتصروا على كثرة مسلحين بالعدة والعتاد ..

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران ١٢٣] .

ومثل الذين خلوا من قبل وجاء ذكرهم فى القرآن

﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٤]

فتجلى عليهم الله بنصره .

ويأتى النصر فى الحالين على غير المألوف فتنتصر القلة على الكثرة وتنهزم العدة والعتاد أمام الفقر العسكرى والحربى .. حتى

تقوم حجة الله ملزمة وحتى لا يخرج من المنتصرين من يقول إن الخطة والتكتيك والكر والفر هى التى أتت بالنصر .

والله هو الفاعل دائمـا فى جميع الحالات ولكنه يتخفى بالأسباب .

وما شقت عصا موسى البحر ولا ابتلعت ما يلقى السحرة من أفاع وثعابين ولا فجرت عيون الماء من الصخر .. ولكن الله هو الفاعل من وراء الأسباب وتلك مشيئته وكلمته وإنما أخفى إرادته فى أسبابه

وإنما يكون التجلى ساحرا وخالبا للألباب لينقطع الشك .

وما السيول والأعاصير والزلازل والبراكين والصواعق إلا جند من جنود ربك ، وما يعلم جنود ربك إلا هو .. ولا يقنط المؤمن ولا ييأس ولا يلقى سلاحه مهما تكاثر عليه الأعداء ومهما حاصرته الهموم . لأنه يرى قدرة الله فى كل شىء .. ويرى البعوضة حاملة الملاريا مجندة ويرى الفيروس حامل الإيدز مجندا .. ويرى الإعصار مجندا .. والرصاصة مجندة .. ويرى مشيئة الله تفعل ولا سواها .

والصمود أمام المحن من صفات المؤمن لأنه يعلم أنه يصارع بيد الله لا بيده .. وهو لا يعرف الجبن ولا الخوف ولا الفرار .

ولهذا اقتضى الإيمان الابتلاء لأن الكلام سهل ولأن كل واحد يدعى أنه مؤمن وأنه مستحق للجنة . وقد زعم الجبابرة أمام شعوبهم حتى لحظة موتهم أنهم كانوا يحسنون صنعا واعتقدوا أنهم يستحقون التمجيد والإشادة .. فلزم الابتلاء حتى يصحو كل واحد على حقيقته وحتى يعلم منزلته . والله ليس فى حاجة إلى الابتلاء فهو يعلم منازلنا منذ الأزل ولكنا نحن الذين يلزمنا الابتلاء حتى نعرف أنفسنا .

أبطال الديمقراطية!

لا شك فى أن الانتخاب والبيعة والشورى والاستماع إلى رأى الخصم من أهم الصفات المعروفة فى صميم الإسلام ، والتعددية فى الرأى أساس فى الإسلام ، بينما الانفراد بالرأى والديكتاتورية والقهر مرفوضة فى الإسلام جملة وتفصيلا .

ويجب أن يفهم كل مسلم أين يقف ؟ ومع من ؟ وضد من ؟ وسوف يخسر المسلم كثيرا إذا وقف ضد الديمقراطية ، بل سوف يخسر دينه ، وسوف يخسر نفسه .

والحقيقة أن الديمقراطية ديانتنا ، وقد سبقنا غيرنا إليها منذ أيام نوح عليه السلام ، الذى ظل يدعو قومه بالحسنى على مدى تسعمائة سنة من عمره المديد ، لا قوة له ولا سلاح إلا الرأى

والحجة ، يدعوهم بالكلمة فى برلمان مفتوح يقول فيه ويسمع ، بينما هم يسخرون منه ويهددونه بالرجم .

فى تلك الأيام كان هؤلاء البهم الهمج هم أجداد أجداد مستعمرى اليوم .. وكان نوح النبى عليه السلام هو رسول الإسلام والمتحدث بلسانه .

وحينما خرج النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى آخر سلسلة الأنبياء .. كان الله مازال يقول له نفس الشيء

﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ .

﴿ إن انت إلا نذير ﴾ .

﴿ إنما انت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ .

﴿ وما انت عليهم بجبار ﴾ .

وتلك هى الأصول الحقيقية للديمقراطية فهى تراث إسلامى .

فإذا قالوا لكم : الديمقراطية ..

قولوا الديمقراطية لنا ، ونحن حملة لوائها ونحن اولى بها منكم ولكنهم سوف يلتفون ليخرجوا بمكيدة أخرى فيقولوا إن الإسلام ليس فيه نظرية للحكم .

وسوف نقول وتلك فضيلة الإسلام ومزيته ، فلو نص القرآن على نظرية للحكم لسجنتنا هذه النظرية كما سجنت الشيوعيين ماركسيتهم فماتوا بموتها والتاريخ بطوله وعرضه وتغيراته المستمرة وحاجته المتجددة المتطورة لا يمكن حشره فى نظرية ، ولو سجنته فى قالب ، لا يلبث ـ كالثعبان ـ أن يشق الثوب الجامد وينسلخ منه . والأفضل أن يكون هناك إطار عام ، وتوصيات عامة ، ومبادىء عامة للحكم الامثل مثل العدل ، والشورى ، وحرية التجارة ، وحرية الإنتاج ، واحترام الملكية الفردية ،

وقوانين السـوق ، وكرامة المواطن .. وأن يأتي الحكام بالانتـخاب ويخضعوا لدستور .

أما تفـاصيل هذا الدسـتور فهـو أمر سوف يخـضع لمتغيرات التاريخ .. وهو ما يجب أن يترك لوقته .

والأيديولوجـيـات التي حـاولت المصـادرة علـى تفكيـر الناس وفرضت عليهم تفكيرا مسبقا ونهجا مسبقا قال به هذا أو ذاك من العباقرة .. ثبت فشلها .

وهذا ما فعله القرآن .. فقد جـاء بإطار عام ، وتوصيات عامة ، ومبـادىء عامـة للحكم الأمثل .. وترك باقي التـفاصـيل لاجتـهاد الناس عـبر العصـور .. ليأتي كل زمـان بالشكل السيـاسي الذي يلائمه ..

وفي خضم الاجـتهاد الإسلامي سـوف تجد محصولا عظيما تأخذ منه وتدع .. من أيام الشيـخ محمد عبده والأفـغاني وحسن البنا والمودودي ، إلى زمـان مـالـك بن نبي والمهـدي بن عـبـود والزنداني ، إلى إبراهيم بن علـي الوزير والشيخ محـمـد الغـزالي والشـعراوي ويس رشـدي والدكتـورين محـمـد عمـارة وكمـال أبو المجـد .. موسـوعة من الفكـر سوف تمد من يقـرأها بمدد من الفهم لا ينفد .

والسؤال الذي يخـرج به البعض به من وقت لآخـر ألا يحرم الإسلام على المرأة أن تعمل ؟ وهم لا يكفون عن ترديده .

وأقول لهم هاتوا آية واحدة من القرآن تثبت كلامكم .

والأمر القرآني للنساء بالقرار في البيوت كان لنساء النبي .

وكان مشفـوعا في مكان آخر بالآية ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء** ﴾ .

وتلك إذن خصوصية لزوجات الرسول عليه الصلاة والسلام .

وهل رأيتم زوجة ريجان تعـمل ، أو زوجة بوش لها بوتيك ؟!..

إن كل واحدة منهما عملها الوحيد زوجها .

ومن زوجات رؤساء علمـانيين .. فما بال زوجة سيـد البشر ، وخاتم الأنبيـاء ، صاحب الرسالة الكبرى . كـيف يجوز أن يكون لها عمل آخر غير زوجها ؟!

الخصـوصيـة هنا واضـحة ، وهي لا تنسـحب إلا على من كن مثلهن من نساء الأمة ، ومن كن في مثل ظروفهن . والكلام الآخر السـخيف الذي يرفض الدولة الإسـلامـيـة لأنهـا دولة دينية . لم يفهم مـرددوه كلمة عمـر بن الخطاب وأبي بكر - وهم السادة والمثل - حينما يقول الواحد منهم صبيحة بيعته :

« إن أصبت فأعينوني ، وإن أخطأت فقوموني » .

لا عصمة لحـاكم إذن . ولا حكم إلهيا في الإسلام .. وإنما هو حكم مدني ديمقراطي ، يخطىء صاحبه ويراجع .

وقـولهم إن الإسلام يقـف سدا منيـعـا أمام اجـتـهاد العـقل بمقولته الشهيرة لا اجتهاد مع النص . وما أكثر النصوص بل القرآن كله نصوص .

أقول لهم : لا يوجـد في القرآن نص أكثر تحديـدا وصرامة من قطع يد السارق ، وقد جاء هذا النص في القـرآن مطلقا لا استثناء فيه ..

﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ..** ﴾ .

ومع ذلك فقد اجـتهد النبي - عليه الصـلاة والسـلام - في فهم النص فلم يطبـقه في الحـروب واجـتهد فـيه عمـر بن الخطاب فلم يطبـقه فـي عام المجـاعـة وهي استـثناءات لم ترد في القـرآن ،

فضربا بذلك المثل على جواز الاجتهاد ، وجواز إعمال العقل حتى فى نص من نصوص الشريعة فما بال النصوص الأخرى التى لا تمس حكما أو عبادة ؟!

أما عن حكاية الفن والتناقض الذى خلقوه بين الفن والدين ليجعلوا من الإسلام عدوا للجمال فإننى أقول حتى الشعر والشعراء الذين قال عنهم القرآن إنهم يتبعهم الغاوون ، وإنهم فى كل واد يهيمون ، وإنهم يقولون ما لا يفعلون عاد فاستثنى قائلا ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وينطبق هذا على الفنون كلها فهى جميعا تخضع لنفس القاعدة حسنها حسن ، وقبيحها قبيح كل ما يدعو منها للخير هو فن حسن ، وكل ما يدعو للفساد والإفساد هو فن قبيح ، وهى قاعدة يطبقونها حتى فى الغرب فهم يقولون عن كثير من الأعمال الفنية إنها رديئة وهابطة والفن الردىء عندهم متهم ، كما هو فى كل مكان .. والمعركة مستمرة ..

ولكنا فى حاجة إلى كتيبة تجدد الدين وتقاتل خصومه بأسلحة العصر ، وليس بفتاوى ألف سنة مضت . فالإسلام السياسى هو إسلام ينازع الآخرين سلطاتهم . وهو بطبيعته يريد أرضا والفكر الإسلامى لا يريد أن يحكم ، بل يريد أن يحرر يريد أن يحرر أرضه المغتصبة .. ويريد أن يحرر عقولا قام الآخرون بغسلها وتغريبها .. ويريد أن يسترد أسرته وبيته بالكلمة الطيبة وبالحجة والبينة ، وليس بتفجير الطائرات وخطف الرهائن ..

بالسياسة ، لا بالحروب ..

● أبطال الديمقراطية ! ■

بالحوار الحضارى ، لا بالاشتباك العسكرى .. ولكنهم لن يعطوا الفرصة لهذا الحوار الحضارى ، وهم ينتظرون سقطة من زعامة متخلفة ، ويتعللون بصيحة عنف يصرخ بها منبر ضال ، أو عربة ملغومة يفجرها عميل ، ثم يتطوع عميل آخر ليقول إنها من عمل الجهاد الإسلامى ، أو « شباب محمد .. » أو « حزب الله » ليثيروا بها ثائرة الأبيض والأحمر والأصفر على الإسلام وأهله ..

ولكن أهل العلم يعلمون أن العدوان مبيت منذ عشرات السنين منذ سقوط الخلافة العثمانية ، ومنذ وعد بلفور ، وتهجير مطاريد اليهود من أقطار العالم وجمعهم فى إسرائيل ، وإقامة الترسانة النووية والكيميائية والميكروبية فى داخل القلعة الإسرائيلية .. وتحطيم أى سلاح عربى منافس ..

هم يخططون من قديم لهذا اليوم والمعركة مستمرة .

وسوف تستمر بطول ما بقى من زمان إلى يوم الدين .. ولن تكون معركة سهلة ..

وطوبى لهم .. مَنْ كانوا من أبطالها !

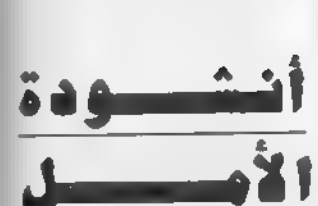

الدنيا لم تعد هى الدنيا ولا الناس هم الناس .

ولو كنت من مواليد العشرينيات من هذا القرن مثلى لشعرت بانك أجنبى غريب فى بيتك وبلدك وناسك .. أو أنك فى قاعة سينما تشاهد أفلاما شريرة .. الابن يقتل أباه والأم تقتل ابنها والزوج يحرق زوجته والشركات تبيع منتجاتها مغشوشة علانية فى الأسواق .. والكلام فى كل وسائل الإعلام عن التلوث وتقرأ عن حكومات تؤوى الإرهاب وتنفق عليه وتموله وتستعمله كادوات شرعية بديلة عن الاستعمار القديم لإخضاع العالم الثالث واستغلاله .. وترى الشر له مؤسسات محترمة تزاول جرائمها فى علانية وفى حراسة القانون وتشاهد الزراعة بالهندسة

الوراثية فى حدائق معلقة وصوبات . وشتاء لندن شديد الحرارة وغابات أفريقيا المطيرة شديدة الجفاف .. والأرض فى تصحر مستمر .. ويتكلم الناس عن خرق فى طبقة الأوزون وعن الأشعة فوق البنفسجية التى تتسلل إلى الأرض وتسبب سرطان الجلد . وعن السيجارة التى تسبب سرطان الرئة والحلق والثدى والبروستاتا والمعدة والبنكرياس . وعن رعب جديد اسمه البورصة . وضربات الفقر والإفلاس تصيب الدول الأسيوية مجأة بسبب هبوط البورصة وتدهور العملات .. وحروب مستترة لإفقار العالم النامى بدون حروب وبمجرد شراء العملات وبيعها وتسمع عن المافيا التى أصبح اسمها إسرائيل وينتشر مواطنوها فى العالم كأذرع الأخطبوط وتتغلغل فى الحكومات وفى مناصب صنع القرار وتتسلل كالوباء المدمر فى كل حكومة ويعلو صوتها ويتفاقم شرها .. وعن العالم الذى يقترب من كارثة أو زلزال وشيك أو فساد شامل ينهار فيه كل شىء إن الدنيا لم تعد هى الدنيا والناس ما عادوا هم الناس الذين تعرفهم .. وإنما أنت غريب فيهم وأجنبى لا تفهم لغتهم . ومواطن مذعور تبحث لنفسك عن جب تختفى فيه وتطلب من الله الستر بقية أيامك ..

وهذه دنيانا فى ختام الألفية الثانية من عمرها المديد ..

الانحلال والفساد .. والجريمة .. والأمراض الخبيثة والأوبئة .

والرعب . والإرهاب والعلم الشرير . والسياسة ذات الوجهين وأمريكا قطب وحيد يحكم العالم وإسرائيل طفيل تحت جلدها يتغذى على دمها .. دراكولا .. ونباش قبور . ينشر الفتن والحروب والإحقاد . وأمريكا تظن أنها تستعمله على أملاكها بينما هو الذى يستعملها على أطماعه ..

والعالم ينحدر دون أن يدرى إلى هاوية من القسوة والحروب والدمار .

والكراهية والبغضاء تسود رغم الوفرة والقوة والثراء .

وأمريكا القوية ليست فى حاجة إلى الغزو ولا إلى الحروب فعندها ما يكفيها وما يزيد على كفايتها .. فلماذا تهدد هذا وذاك لماذا ترسل أساطيلها وبوارجها وطائراتها تروع العالم وتخيف الضعفاء ؟

لماذا تريد أن تتحول إلى عملاق كريه ؟

وكيف يسيطر الحقد الإسرائيلى على الطاغوت الأمريكى وكيف يثير البرغوث غضب الفيل ..؟

ولكننا لسنا وحدنا فى هذا الكون يا سادة نعبث كما نريد . وإنما للكون صاحب يحفظه من الدمار والفناء .. ومنذ مليارات السنين من قبل أمريكا ومن قبل ميلاد أرضنا وشمسها .. والكون موجود ، وما حياتنا على هذه الأرض إلا لحظة عابرة بالنسبة لهذه الأحقاب البائدة . وما قارة أمريكا إلا مجرد فقاعة ظهرت على وجه الماء ما تلبث أن تنفجر وتزول وما أكثر ما ظهرت قارات واختفت أراضين .

والزمن يبتلع كل شىء والأزل يبتلع الزمن فى جوفه والله فى أبده اللانهائى يحيط بالوجود كله .. وما العلمانيون إلا رغوة وزبد عكر سطح الغدير الصافى .. ولا يلبث أن يذهب جفاء .. ويصفو الماء الرقراق من جديد ويتجلى وجه ربنا فى صفائه .

وأقول للضعفاء الذين يعانون ويتعذبون ولا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلا .. أقول لهم :

[illegible]وا الله وأصبروا وسوف يغير الناموس الإلهى الدوار كل [illegible]

ولمن يستطيع أن يزرع شجرة أقول له : أزرعها .

ولمن يستطيع أن يبذل النصح ويقول كلمة حق أقول له [illegible]ها ولا تخف

ولمن يستطيع أن يبنى أملا ويقيم جدارا أقول له يدى على يدك

واشغلوا أنفسكم بما يفيد وينفع ودعوا الكون لخالقه والأقوياء الجبابرة للذى هو أقوى منهم للجبار القهار الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ..

وإذا أراد الله لنا أن نقاتل فسوف يوفر لنا أدوات هذا التقال ويعيننا عليه ..

وثقوا بربكم وآمنوا بعدالته فلا موجود بحق سواه ولا حاكم سواه ولا صانع للتاريخ سواه ولا مدبر للأقدار سواه وإن إدعى المدعون أنهم صنعوا ودبروا فما كانوا طيلة الوقت إلا أدواته . وما كانوا حينما ظلموا إلا غضبه وما كانوا حينما حلموا إلا حلمه وما كانوا حينما عفوا إلا وسائط عفوه .

وربنا الكريم الودود المنان هو التسبيحة والأنشودة والأمل .

منه الأمر وإليه الأمر .

ولا حول ولا قوة إلا به .

فاجتهدوا وابذلوا وسعكم وأسلموا له وارتضوا مشيئته ومن فاتته دنياه سوف تسعه آخرته .. والآخرة أكرم ..

وربكم لا تضيع عنده المروءات ولا تبخس فى موازينه الحسنات وثقوا بأنه لا يدوم كرب وفى الدنيا رب .

سبحانه لا إله إلا هو تباركت أسماؤه وتقدست آلاؤه .

سواح .. فى دنيا الله

رحلة إلى قبائل الشيلوك

كانت الباخرة تسير ببطء .. كأنها سلحفاة تمشى على بطنها .

وأنا مغمى علىّ من فرط الحرارة فى علبة السردين التى أنام فيها.. والمروحة تزن على رأسى بلا جدوى .. ولا أجرؤ على أن أفتح بابا أو شباكا فأسراب البعوض تحوم فى أفواج كثيفة فى الخارج ولا أكاد أتخيل أن أخرج إصبعا حتى لا تهجم عليها فى وحشية ، وكلها من بعوض الأنوفيل حامل الملاريا .

وكانت الملاريا قد بدأت تكتسح المركب ، فالريس حرارته ٤٠ واثنان من البحارة يعانيان رجفة الحمى . وكنت أفتح عينىّ بين لحظة وأخرى . وأنا فى ضباب النوم فأرى جزائر من النور تسبح طائرة على جانبى السفينة

هل أهذى أنا الآخر ؟

وأفرك عينىّ .. وأحملق حولى جيدا .

مازالت هناك تلك الجزائر من النور .. إنى لا أحلم .

إنها جزائر من نباتات الهياسنث سابحة فى التيار تضيئها أنوار الباخرة على الجانبين .

وكان قمر خط الاستواء يبدو شاحبا يغلفه الضباب والبخار وخطر لى أن أصعد على سطح الباخرة لأشاهد الطبيعة فى تلك الساعة من الليل ودهنت وجهى وأطرافى بطارد البعوض وخرجت ألتمس الهواء ولم يكن ثمة هواء وإنما رطوبة راكدة تتكثف على الأهداب وعلى الجلد . وهواء ثقيل له ضغط

ولم تكن الطبيعة نائمة كما تصورت .. وإنما كانت صاخبة جياشة بالحركة والحياة .

أسراب الفيلة تملأ المراعى . وتماسيح النيل الضخمة تمرح حول الباخرة وقطعان سيد قشطة تستحم . وآلاف الكروانات والبلابل والعصافير والنسور والطيور الملونة تحلق على ارتفاعات قليلة .. وجيوش الحباحب المضيئة تلمع كسنون الإبر فى الظلام

وحرب الطبيعة ناشبة على أشدها .. الحباحب تأكل البعوض والضفدع يأكل الاثنين والأسماك تأكل الكل ثم يذهب الجميع فى جوف التمساح فى صمت على حين يطل القمر شاحبا يغلفه الضباب والبخار .

ومن وقت لآخر يرشق الهدهد منقاره فى الطين ليخرج بدودة كبيرة .

ويغطس طائر اللقلق فى الماء ليخرج وفى فمه سمكة

وترتفع هامات السفانا العالية وأشجار البردى وسيقان

الهياسنث على الشطآن لتحجب ما يجرى فى الداخل . لا يبدو عنها صوت إلا حينما يتخللها ثعبان فيخشخش بين أوراقها وهو يسعى ليرد الماء .. أو يتمطأ فيل فتهوى كتل من هذه النباتات المتشابكة وتتفتت ويجرفها التيار فى جزائر عائمة صغيرة تنعكس عليها أضواء الباخرة فتلمع فى الظلمة .

كل صنوف الحياة كان يبدو عليها الانتعاش فى هذا الجو الساخن فهى تتلاقح وتتوالد وتتكاثر وتأكل بعضها وتنقنق وتزقزق وتشقشق وتفح وتنبح وتعوى وتملأ المستنقعات اللزجة وتشرب مياهها الراكدة فى شهية كالحساء وتنمو وتبلغ أحجاماً عملاقة .

أشجار الإدليب كانت تصطف فى طوابير شاهقة الطول على الجانبين .

وثمار الإدليب كانت تتساقط فى الماء . كل ثمرة فى حجم البطيخة (وهى من فصيلة الدوم) .. أشجار البردى كانت تنمو فى وحشية حتى تسد الأفق .

التماسيح كانت تشق الماء شهباء اللون .. كالحة ضخمة كالبوارج الحربية .

كانت هذه البيئة الساخنة هى البيئة المختارة لهذه الفصائل من الحيوان والنبات .. شىء واحد لم يكن يظهر إلا نادراً فى هذه المتاهات الاستوائية الشاسعة .. هو الإنسان .

كل بضعة أميال كان يظهر واحد أو اثنان أو ثلاثة من الزنوج عراة . يحملون الحراب .

وكلهم من قبيلة الشيلوك .

والشيلوك والدنكا .. والنوير .. هى القبائل التى يلقاها المسافر

فى هذه المنطقة من النيل بين كوستى وملكال وبور ، وجوبا .

وزنوج هذه القبائل يسيرون عرايا .

وأحياناً تجد الواحد منهم عرياناً « ملط » ولابس كرافتة وهم ينظرون إلى المدنية بهذه الطريقة من التريقة فالثياب فى نظرهم مجرد تقليعة بلا وظائف .. مجرد زوائد لا معنى لها .. كزر الطربوش .

ومعظمنا كنا قد بدأنا نعتنق هذه الفلسفة .. فقد كنا نسير على سطح المركب أنصاف عرايا لا فرق بيننا وبين الشيلوك إلا نصف متر الدبلان الذى يقتضيه الحياء التقليدى .

ولكن الشيلوك لم يكونوا رواداً فى مسألة الثياب وحدها .. ولكنهم كانوا رواداً فى كل ما هو بدائى ، وكانوا يرفضون بشدة كل ما هو « مدنية » .. ويتمسكون بكبرياء بتقاليدهم .

ومن الدراسات التى قرأتها عن هذه القبيلة .. كان يبدو أنها قبيلة شديدة التدين .. شديدة التمسك بعباداتها وتقاليدها .

وديانة الشيلوك ديانة وحدانية . فهم يؤمنون بإله واحد يسمونه « جوك » ولكن فهمهم لهذا الإله الواحد غامض ومضطرب فهو فى نظرهم خفى وموجود فى كل مكان وخالق السماء ولكن مشيئته لا تنفذ إلا عن طريق « نياكانج » .

و « نياكانج » هو ملك الشيلوك القديم الذى أنشأ قبيلة الشيلوك . وهو فى اعتقادهم لم يمت وإنما تحول إلى ريح واختفى .

ثم حلت فيه روح « جوك » . وأصبح ممثلاً لمشيئته على الأرض . ولهذا فهم يصلون له ويقيمون له المعابد ويقدمون له القرابين .

و « نياكانج » متصل اتصالاً يومياً بحياة الشيلوك .. أما « جوك » أو الله فهو شيء مجرد وبعيد ومتصل أكثر بالكون كله

ومعابد النياكانج هي وحدات سكنية عادية يعتقد الشيلوك أن روح « النياكانج » تسكنها .. وتتألف الوحدة من خمسة أو ستة أكواخ مثل أكواخ السكن العادية التي يسكنها الشيلوك مع فارق أنها أكثر اتساعاً ونظافة ويقوم على خدمتها كهنة من عجائز الشيلوك ومعهم زوجاتهم الطاعنات في السن .. ومحرم دخول هذه المعابد لأي فرد من أفراد الشعب فيما عدا هؤلاء الكهنة .. وعلى من يدخلها من النساء والرجال أن يكون صائماً صياماً تاماً عن العلاقة الزوجية .

والكوخ الأول من هذه الأكواخ يخصص لنزول روح «نياكانج» وفيه توضع أسلحته وأدواته وقيثارته وطبوله وجلود قرابينه وعلى بابه تغرس قرون الأضاحي التي قدمت له .

والكوخ الثاني يخصص للماشية التي تخص المعبد .. والثالث لخزن الحبوب وتخمير المشروبات . والرابع للكهنة والخدم والعبيد .. والخامس لتقضي فيه روح « نياكانج » حاجتها وتستحم وتتبول . والسادس لتنزل فيه روح « نيكايا » والدة « نياكانج » .

ويرتل الكهنة في صلواتهم قائلين :

يا إلهنا .. نجنا .. بيدك وحدك نجاتنا .. أنت تملك السماء والأرض والنجوم . وبمساعدة « نياكانج » تقوى أذرعنا عند الحرب . وتحفظ لنا ماشيتنا . وتبعد عنا المرض والجوع .. كل أبقارنا مبذولة من أجلك . وكل دمائنا فداؤك .. وهم يذبحون الثيران التي تقدم قرابين ويأكلون لحومها ويرمون بعظامها في

النهر . أما الأبقار فيحفظونها في حظيرة المواشي بالمعبد .

وأهم الطقوس الدينية طقوس المطر .. وطقوس الحصاد .

وفي يوم الاحتفال بطقوس المطر تدق الطبول في ساحة المعبد التي تكنس وتنظف للمناسبة ويجتمع الشباب للرقص بالحراب والسيوف وللغناء لروح « نياكانج » ثم يؤتى بثور القربان ويضع الكاهن في كفه بعضاً من ماء النهر ويبصق فيه ثم يرش به الثور ثم يطعنه طعنة نافذة في أعلى الفخذ ويتركه ليدور في الساحة حتى يخر ميتاً .

وهم يستبشرون إذا اتجه الثور المحتضر إلى النهر أو إلى كوخ « نياكانج » ويحتفظ الكهنة بالرأس والسيقان والأحشاء ليأكلوها .. ويلقون بالعظام في النهر .

ويعتقد الشيلوك أن روح « نياكانج » يمكن أن تحل في عديد من الحيوانات مثل الزراف والثعبان وطائر الأكاك . وحينما يرى الشيلوكي فراشة تقف على باب المعبد يصرخ هاتفاً .. هذه روح « نياكانج » .

وأي شجرة تنبت بالقرب من معبد « نياكانج » تقدس ولا تمس ويعتقد أنها من أخشاب مقبرة « نياكانج » .

وصيد التمساح محرم لأن الشائع أن روح « نيكايا» أم « نياكانج » تحل فيه وهم يعتقدون أن روح « نيكايا » تعيش في الماء ولذلك يلقون بالشاة التي يقدمونها قرباناً لروحها وهي حية ومقيدة من أرجلها في الماء . وكل ملوك الشيلوك مقدسون على مثال « نياكانج » .. ولهذا فهم يدفنون وتقام لهم معابد على مثال معبد « نياكانج » ولكن أصغر حجماً .

والموتى من الأجداد يعاملون معاملة الملوك ويعتقد أن فيهم

روح « جوك » وأنهم على اتصال بالله .

وأرواح الأجداد لا تنفصل في ديانة الشيلوك عن أرواح الملوك أو روح « نياكانج » أو روح « جو » .

ويتشاءم الشيلوك من الملك الذي يطعن في السن ويقعده المرض ويعتقدون أن ما يصيب الملك من مرض وشيخوخة لا يلبث أن يحل بالقبيلة كلها . وكانوا في الماضي يقتلونه .

والقرابين البشرية غير مألوفة عند الشيلوك ولكنها كانت تقدم في أحوال نادرة حينما تفشل الطقوس العادية في استدرار المطر .

وكان المتبع أن يقتل الضحية وتدفن خصيته (وهي رمز الإخصاب) في مجرى ماء .. وكان هذا القتل يتم في سرية ويقوم به الطبيب الساحر

والأطباء السحرة نوعان . « أجاجو » وهم أحباب الله الذين يسعون في الخير وفي شفاء المرضى « والجالايات » وهم محترفو السحر الأسود الذين يسحرون بالضرر والشر .

ومحترفات السحر الأسود من النساء اسمهن « الدايات » والساحر الذي يبدأ الاشتغال بالسحر ينفصل عن زوجته ولا يجتمع بها ويتخلص مما يملك من أبقار ويعيش في وحدة وتقشف وبالمثل المرأة « الداية » التي تشتغل بالسحر .

ويقال بلغة الشيلوك إن ما هو جسدي في الساحر ينكمش ، وإن الروح تتلبسه وتنتشر فيه .

والشيلوك يؤمنون بالحسد والعين الشريرة . والسحرة يعالجون الحسد بإحضار شاة وفقء عينيها بقضبان محمية من الحديد مع تلاوة الأدعية والتعاويذ .. وتكون نتيجة هذه التعاويذ أن يصاب الحاسد بالعمى ويشفى المريض من الحسد .

ويعتقد الشيلوك في أشباح وعفاريت بشرية غير طبيعية تسكن النهر والغابة ويعتقدون في ثيران ليست لها آذان وليست لها قرون تعيش في الدغل ولكنهم لا يعلقون أهمية كبيرة على ذلك

ويعيش ملوك الشيلوك في أكواخ عادية لا تمتاز بشيء عن أكواخ الشعب .. وبنات الملوك لا يتزوجن إذ أن زواجهن من داخل العائلة الملكية محرم وزواجهن من خارج العائلة الملكية بالأشخاص العاديين لا يليق ببنات الملوك .

وزوجة الملك تقدم الطعام لزوجها وهي راكعة على ركبتيها ووجهها ملتفت بعيداً عن الملك ويدها تغطي أسفل وجهها .. وبعد أن يأكل تصب على يديه الماء . وهي مازالت تشيح بوجهها

ومحرم على أي فرد أن يجلس في حضرة الملك وهو ناظر إلى وجهه . على الجميع أن يشيحوا بوجوههم ويحجبوها بأيديهم .

وعلى مشايخ القبائل الذين يعينهم الملك أن يقسموا يمين الولاء بين يديه ثم يمسك كل منهم بحربة الملك ويقبلها ويلعقها بلسانه ويضغطها على جبهته .

ثم يلوح بها في الهواء . وعليه بعد هذا أن يبقى في كوخه معتزلاً أربعة أيام كاملة يصبح بعدها الشيخ المختار من الله .

وجميع أطفال الشيلوك فيما عدا أطفال العائلة المالكة تنزع أسنانهم الأربعة الأمامية بالفك الأسفل .. وكل الأولاد تجرى لهم عملية « التشليخ » وهي قطوع عرضية مميزة في الجبهة .

وبدون هاتين العمليتين لا يعتبر الواحد منهم قد أصبح رجلاً..!

الدنكا

الدنكا أكثر قبائل الغابة تدينا وهم يعتبرون كل ظاهرة تحدث فى الحياة اليومية حتى الظواهر التافهة إشارة إلهية تستدعى ذبح شاة وتقديم قربان ..

ومما يروى أن أول طائرة أوروبية نزلت فى تونجى بين قبائل الدنكا التى تعيش على ضفاف النيل الابيض بالسودان أثارت حالة من الرعب كانت نتيجتها أن ذبحت أكثر من خمسين من الثيران وقدمت قرابين . وتقدم رجل عجوز من الدنكا واعترف بجريمة قتل كان يخفى خبرها منذ سنين ..

ومن الأمور العادية أن يلاحظ رجل من الدنكا وهو يقف فى حديقته ثمرة كبيرة من ثمار المانجو أكبر من الحجم العادى .

فيهلل ويكبر ويأتى بشاة ويدور بها عدة مرات حول شجرة المانجو وينتظر حتى تبول فيذبحها ويسكب دمها على الثمرة ويقطع أذنيها وأطرافها ويعلقها على سارية ويسلخها ويوزع لحمها على جيرانه ويقدم جلدها لكهنة « نيالاك » .

و « نيالاك » هو الرب الذى يعبده الدنكا وينظرون إليه باعتباره خالق الدنيا ومؤسس نظامها ..

و« نيالاك » معناها الحرفى « الذى فى السماء » أو « الأعلى » .

والقوة الروحية الثانية التى يؤمنون بها هى « دنجديت » صانع الأمطار ولـ « دنجديت » قصة مثيرة .

فقد أنزله الله من السماء . بعث بالأم المقدسة من سمواته فهبطت على قبيلة أديرو وبطنها حامل ..

والتف حولها القرويون ونبحوا الذبائح والقرابين فرحين مهللين .. وابتنوا لها كوخا جميلا ..

وبعد شهر كانت تضع مولودا ملائكيا له أسنان كأسنان الكبار ويبكى من عينيه دما .

وقالت الأم المقدسة وهى تشير إلى طفلها . سيكون هذا الطفل راعيكم .. وحامى دياركم ..

وطلبت منهم أن يقدموا له الشياه والأبقار قرابين فقدموا لها ما طلبت فانشقت السماء عن أمطار غزيرة لم يشهدوا لها مثيلا .

ومن ذلك اليوم أطلقوا على الطفل اسم « دنجديت » أى المطر الغزير .

وعاشوا تحت حكم « دنجديت » سنين طويلة حتى بلغ « دنجديت » سن الشيخوخة ثم اختفى فى عاصفة فلم يعثر له على أثر .

وفي بعض الحكايات أن « دنجديت » مازال حيا .. وأنه خالد لا يموت وأنه ينتقل بين قبائل الدنكا متلبسا صورة بشرية .

وفي إحدى الأساطير أن « دنجديت » هذا اختلف مع زوجته « أبوك » وأرسل عليها طائرا قطع حبل النجاة بين السماء والأرض . ومن ذلك اليوم والسماء منفصلة عن الأرض .

ولـ « دنجديت » معابد كثيرة في قرى الدنكا .

ومعبد الـ « دنجديت » وحدة سكنية عادية تتألف من ثلاثة أكواخ . أحد هذه الأكواخ هو مسكن « الدنجديت » . ويقوم عليه اثنان من الكهنة هما الوحيدان اللذان يدخلانه .

وفي المعبد مجموعة من الحراب يقال إن « الدنجديت » نزل بها من السماء ويقال إن من يسرقها يموت أو تقطع يده .

وحينما يتقدم واحد من الدنكا بقربان إلى كاهن الـ « دنجديت » ويشكو من عقم زوجته مثلا فإن الكاهن يمهله حتى يرى الـ « دنجديت » في الحلم .. وهو في العادة لا يقبل منه قربانا حتى يأتيه الـ « دنجديت » في الحلم ويعلنه بقبول القربان وحينئذ يأذن الكاهن بالمثول بقرابينه ..

وبعد تقديم القربان يمسح الكاهن على رأس الزائر بمسحة من تراب المعبد ثم يدهن جسمه بالزيت المقدس . ثم يأخذ محتويات أمعاء الضحية وينثرها على المذبح .

وأحيانا يقدم الزائر هدية من التبغ مع القربان .

والدنكا يعتقدون أن كل إنسان له روح أو شبح يخرج منه بالموت ويتجول في كل مكان ، وهو الذي يسبب الأحلام ..

وحينما يحلم الواحد منهم بأن روح أبيه الميت جائعة فإنه يبادر حينما يتيقظ إلى وضع إناء فيه بعض الدقيق والزيت إلى

جوار الباب ليطعم الروح الهائمة ..

وأرواح الأجداد ينظر إليها بتقديس وإجلال باعتبارها أرواحا عادية منقذة ..

وأنت ترى الدنكا حينما يقذف بسهمه في الماء ليصطاد يهتف قائلا إيه يا روح أبي الهادية ..

وأحيانا حينما يتعرض لخطر داهم يهتف مناديا على روح الطوطم الحيواني الذي يقدسه إيه يا روح مارياك يا روح الثعبان المقدس .. قوى ذراعي ..

والعظماء المختارون تلبسهم الروح العليا .. وتكون لهم القدرة على كشف الغيب وعلاج المرضى .. ويطلق عليهم اسم « تيت » ويذهب أفراد القبيلة لاستشارتهم ..

والدنكا يؤمنون بأثر اللعنة والبركة . والأب يبارك ولده بأن يبصق في يده ويمسح البصاق على رأس ولده وعلى صدره ثم يأخذ من تراب الأرض ويحثوه عليه .

والأخ يلعن أخته ويقول لها في ساعة غضب .. أذهبي لن يكون لك ولد .. ملعونة أنت وعاقر ما عشت في هذه الدنيا .. وهي لعنة لا علاج لها إلا بأن يذبح شاة ويأخذ محتويات أمعائها ويبصق عليها ويدهن صدر أخته وبطنها وهو يقول .. اسمعي يا روح أجدادي .. لقد قلت ما قلته دون أن أعنيه .. وأنا الآن أتمنى أن يكون لأختي ولد جميل .. وأن تنجب ما تشتهي من الأطفال .

والدنكا يؤمنون بأن الإنسان يستطيع أن يضر غيره بمجرد أن يشتهي هذا الضرر بجماع قلبه .. وأن الإرادة يمكن أن تقتل كما يقتل السيف بدون أن ينتقل صاحبها من مكانه ..

وهم يؤمنون بالقسم ..

ومن الأساليب المتبعة فى القسم أن يلعق الرجل مطرقة الحداد وهو يقسم قائلا .. لامت وأتحطم بهذه المطرقة إذا كنت أحنث فى قسمى .

وساحر الدنكا يدعى أحيانا أنه يستطيع أن يؤخر غروب الشمس .. وهو فى سبيله إلى ذلك يجمع روث الفيل ويضعه بين الأعشاب فى اتجاه الغرب كمحاولة لايقاف الشمس وتأخير دورانها .

وصانع الأمطار شخصية مهمة بين الدنكا .. وهو فى مقام شخصية الملك ويجب ألا يموت موتا طبيعيا حتى لا تحل لعنة الشيخوخة بالقبيلة ..

وهو حينما يستشعر دنو أجله يطلب أن تحفر له حفرة عميقة ينام فيها على عنجريب من جلد بقرة وحوله المقربون من ذريته وأصحابه .. ويظل بلا طعام ٢٤ ساعة حتى يفتر تماما فيهيل عليه أصحابه التراب حتى يختنق فيبادروا إلى دفنه .. وفى العادة يدفنون معه ثورا أو بقرة .. ويصبون اللبن على قبره ..

وطقوس المطر تبدأ فى نهاية الجفاف من كل عام .. وأحيانا يرفض صانع الأمطار القيام بالطقوس ويعتكف فى كوخه فيقوم كاهن آخر أقل منه مرتبة بالاشراف على الطقوس ويأخذ كوبا مثقوبا مملوءا بالماء « مثل الدش » ويعلقه على باب الكوخ .. ثم يدخل وهو يغمغم . يا إلهى ها أنذا احتمى من المطر فى داخل كوخى .. ياله من مطر غزير.. ويحدث فى حالات كثيرة أن تصدق السماء على كلامه فتمطر ..

وكل طائفة من طوائف الدنكا لها حيوان تقدسه وتحرم صيده « طوطم » وتعتبر نفسها منحدرة من سلالته .. وأحيانا تقدس

[illegible]ا .. أو ظاهرة طبيعية ..

الأسد . الثعبان . والفيل .. والضبع . والبوم . والتمساح . والثعلب والنار .. والسحاب .. والنهر .. والقوقع .. ونخيل الدلح

واشجار الباميو .. كلها طواطم دنكاوية .

والدنكاوى الذى يقدس الثعبان حينما يلتقى بثعبان من الفصيلة التى يقدسها يرش على ظهره التراب ليطيب خاطره ولا يتعرض له بسوء .

والدنكاوى الذى يقدس الأسد يذبح خروفا ويبعثر لحمه فى الغابة ليأكله الأسد .

والدنكاوى الذى يقدس الضبع يقدم الطعام للضباع كما يقدمه لأولاده .

وإذا قطع رجل الشجرة التى يقدسها فإنه يموت وإذا أحرق خشبها فإن دخانها يعمى عينيه .

وهناك حكايات خرافية تروى عن هذه الطوطمية .

فالدنكاوية الذين يعيشون فى خور آدار يحكون عن « أليك » الجميلة التى خرجت من زبد النهر .. وكيف أن القرويين الذين عثروا عليها أخذوها فرحين إلى القرية .. وهناك تبخرت « أليك » وتحولت إلى ماء عند أول لمسة من يد رجل .

وحينما ذبح القرويون الذبائح وقدموا القرابين متوسلين إلى الجميلة « أليك » أن تعود .. سالت مياه « أليك » العطرية وعادت إلى النهر من الصغير فى موسم المطر قربانا للجميلة « أليك » .

ومن يومها وهذه القبيلة الدنكاوية تلقى فى النهر بقرة حية مع عجلها الصغير فى موسم المطر قربانا للجميلة « أليك » .

وفى قبيلة فاكور يحكون عن « فاكور » الذى خرج من الصغر . وكان يحلب العنزات ويشرب كل ما فى ضرعاتها من لبن حتى قبض عليه البطل « أيويل » .

وحاول « فاكور » الخلاص من قبضة « أيويل » فلم يستطع فتحول إلى سيد قشطة ثم إلى عصفور ثم إلى غزال ولكن البطل « أيويل » ظل ممسكا به .

وانفجرت الصخرة التى خرج منها « فاكور » وكان لها دوى هائل مصور .. وقدم القرويون بقرة قربانا للصخرة لإرضائها فابتلعتها الصخرة .. ونزل المطر مدرارا .. وابتسمت السماء .. وقبلت ما قدم القرويون من قرابين ..

ومازالت السماء إلى الآن تسقط على الارض هذه الصخور .. ولكنها الآن لا تزيد على حصوات صغيرة ..

وبعض القبائل يعبدون الشهب والنيازك التى تتساقط على الارض ويقدسونها كالطواطم .

والدنكا يطلقون على أطفالهم أسماء حسب المناسبات . فيسمى الواحد منهم ابنه « الوت » أى رطب وبارد .. لان ميلاده كان فى موسم الأمطار . « أديو » أى الباكى ، لان ميلاده صادف حدوث وفاة فى العائلة .

« كوينير » الذى لا يعرف خاله .. لانه ولد فى أثناء خلاف بين أبيه وخاله .

وأسماء أخرى مثل « الكل يصلى » لان ميلاده حدث بعد فترة طويلة من العقم .. وبعد أن اشتركت القرية كلها فى الصلاة من أجل ميلاد ابن . وبعض الأسماء تكون أسماء أجداد او أقرباء أعزاء أو حيوانات مقدسة .

والدنكا يطلقون الأسماء على مواشيهم كما يطلقونها على اولادهم ويعرفون كل بقرة باسمها .

وعلاقة الدنكاوى بثوره وبقرته أكثر من علاقة إنسان بحيوان . فهو يغنى لها .. ويحنو عليها . ويناديها باسمها . ويناجيها فى خلوته ويبلغ من حبه لها أنه يؤثر موت أولاده فى موسم الجفاف جوعا على أن يذبح لهم بقرة من بقراته .

وهو يفضل خلفة البنات لان العرسان يمهروهن أبقارا .

وعادة تشليخ الجبهة ونزع الأسنان الاربعة فى الفك السفلى متبعة فى الدنكا كما فى الشيلوك .. ولا يعتبر الدنكاوى رجلا إلا بعد أن تشلخ جبهته وتنزع أسنانه .

والنساء يسرن حليقات الرؤوس .. والرجال يصففون شعورهم ويدهنونها بالصمغ وبول البقر ..

والموتى يدفنون وفقا لطقوس وتقاليد خاصة .. فالميت يوضع على جنبه الأيمن ويده اليمنى تحت صدغه وذراعاه وساقاه مثنيان مثل الجنين فى بطن أمه .. وتحفر له حفرة على باب الكوخ من الجهة اليمنى .. يدارى فيها ويغطى بجلد بقرة ثم يهال عليه التراب .. ويبقى أقاربه حول الحفرة أربعة أو خمسة أيام نائمين فى العراء .. وتحثو النسوة التراب على وجوههن ويندبن ويعولن .. ويذبح ثور ويقدم لروح الميت لترضيته حتى لا يأخذ معه بقية العائلة .. وتبنى بالقرب من الحفرة طابية من الطين يرشق فيها قرنا الضحية . وتوضع فى وسطها عصا تتدلى منها حبل البهيمة إشارة إلى أن القربان تم تقديمه .

ويمتنع أهل الميت خمسة أيام عن شرب اللبن .. ويطلق النساء شعورهن ولا يحلقنها طوال هذه المدة .

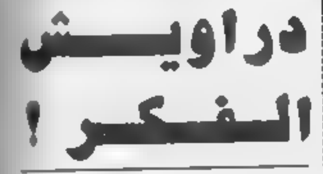

تصلنى أحيانا من القراء تعليقات جادة وتساؤلات حول ما أكتبه . والبعض يلتقط عبارات من كتب قديمة صدرت لى منذ ثلاثين عاما محاولا أن يشهد الناس .. كيف كنت منذ ٣٥ عاما كثير الشك ، ثم أصبحت مؤمنا !.. ياله من تناقض وجريمة لا تغتفر لمفكر !.. ويبدو أن المفكر الأمثل عندهم هو قطعة رخام لا تنتقل من مكانها ، أو مستنقع آسن لا يتجدد ماؤه ، أو حياة خاملة راكدة آلية لا تتطور !

ويتصور الواحد منهم الفضيلة والذمة فى أن يكتشف الكاتب خطأه فلا يصححه ولا يرجع عنه .

ويتصور أن الكمال فى العجرفة الفكرية ، والجمود والتعصب ،

والثبات ولو على الخطأ (ما دام هذا الخطأ فى صالحهم !) .

ولو كنت مؤمنا تحولت إلى الإلحاد لأخذونى بالأحضان .. وقالوا هذا هو المفكر الشريف بحق .. هذا هو رائد النقد الذاتى !

ولكن لما كان تقدمنا لذواتنا على غير هواهم أصابهم عمى الألوان ، فرأوا الأبيض أسود ، ورأوا الفضيلة رذيلة ، والذمة خيانة .

ولقد حارب خالد بن الوليد ضد الإسلام بشراسة ، وأنزل الهزيمة بالمسلمين فى « أحد » . ثم آمن وحمل لواء الدعوة ، وأصبح سيف الله المسلول ، فلم يقل أحد إنه رجل متناقض بلا مبدأ .

وحارب عمر بن الخطاب الدعوة الإسلامية فى بدايتها بضراوة ، ثم اعتنق نفس الدين الذى سبه وسفهه وحاربه . فلم يشك أحد فى إيمانه ولا فى صدقه ولا فى ذمته

والإنسان فى شبابه مندفع بطبيعته ، يؤمن بالساذج البسيط ، الواضح الملموس أمامه ، ولهذا فهو يستريح إلى المادية والفكر المادى ، لأنها لا تطالبه بشىء ، غير الموجود أمامه .. فهى تبدأ من القريب المحسوس ولا تتجاوزه ، ولا تجهد الذهن استخلاصا للحكمة من ورائه . بل إنها لا تعتقد فى وجود حكمة .. لا شىء سوى المادة ، التى تتطور تلقائيا بقوانينها الجدلية الخاصة .

والمفكر المادى لا يحاول حتى أن يسأل نفسه . من الذى وضع فى المادة قوانينها الجدلية هذه ؟!

وهو يرفض الدين لأنه غيبيات !

وهو نفسه غارق فى الغيبيات إلى أذنيه !

بل إن العلم نفسه ـ الذى يتشدق به ، ويحتكم إليه ـ غارق فى

الغيبيات هو الآخر .

العلم يتكلم عن الإلكترون على أنه حقيقة . ولم ير أحد الإلكترون . ولا نعلم عن الإلكترون سوى آثاره . أما الإلكترون ذاته فهو غيب .

وبالمثل "الموجة اللاسلكية" لا نعلم عنها إلا آثارها فى عمود الإرسال وجهاز الاستقبال . لم ير أحد تلك الموجة الأثيرية ، ولم يعرف أحد كنهها .

بل الكهرباء ذاتها هى الأخرى طاقة لا شك فيها ، ومع ذلك فهى مجهولة الهوية تماما . ولا نعرف عنها إلا مجموعة آثارها الظاهرة من حرارة إلى ضوء إلى حركة إلى مغناطيسية

فإذا قلنا لهم إن الله بالمثل عرفناه بآثاره ، وأن « هويته » غيب .. لم يعجبهم كلامنا !

بل إن المفكر المادى يقول فى جرأة عجيبة : « فى البدء كانت المادة ، ثم تطورت المادة إلى كافة صور الحياة والفكر » . وكأنه كان موجودا لحظة بداية الخلق ، متربعا فى كرسى بلكون يتفرج على ميلاد الدنيا !!

هو يتكلم عن غيب ، ويبدأ من غيب . ولا يملك إلا افتراضات واحتمالات ونظريات ..ثم يتهمنا نحن بالغيبية !

وهؤلاء هم « دراويش » المادية ، لا وسيلة لإقناعهم ، لأنهم لا يريدون اقتناعا .. وإنما هم اختاروا الجمود العقائدى وتشنجوا عليه ، واستراحوا إلى ما فيه من تبسيط مخل ، وتلخيص ساذج للحقائق الكونية .

وليس أبعث للراحة من اعتقاد الإنسان أنه لا مسئولية هناك ، ولا بعث ، ولا حساب .. وأن له أن يفعل ما يشاء .. لا رقيب عليه

ولا حسيب سوى البوليس والمخابرات !

ومثل هذه العقيدة المادية أقرب إلى قلب بعض الشباب المندفع الذى يريد أن ينطلق على هواه .. بلا ضوابط وبلا مساءلة

وليس صحيحا أن الفكر الإلحادى المادى هو الذى أعطانا حياتنا المتقدمة ، بما فيها من قطارات وعربات وطائرات وصواريخ وراديو وتليفزيون .. فهذه الأشياء هى عطاء العلم . والعلم تراث متاح للكل .. ولا مذهب له .. يطلبه رجل الدين ، كما يطلبه رجل الفكر من يمين ويسار ..

كان العلم يرفع راياته فى مصر الفرعونية الوثنية ، كما كان يرفع راياته فى صدر الإسلام ..

العلم تراث بشرى لا يستطيع أحد أن يدعى ملكيته ، وليس صحيحا أن الدين يناقض العلم .

وديننا يأمر بالعلم فى أول آية من القرآن : ﴿ إقرأ ﴾ .

أمر صريح بالعلم والتعليم فى أول حرف نزلت به تعاليمنا السماوية والعلماء عندنا هم ورثة الانبياء ، وهم فى القرآن فى درجة الملائكة .. ﴿ شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾ .. والذى يتصور تناقضا بين الدين والعلم لا يعرف ما الدين ولا ما العلم ، وإنما هو يريد أن يختلق لنفسه مبررا للرفض .. وما أسهل الرفض !

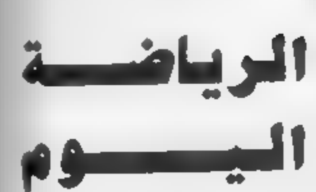

حينما نادى أفلاطون فى جمهوريته المثالية منذ ألوف السنين بتربية النشء على حب الموسيقى والرياضة وجعل من الموسيقى والرياضة حصصا ثابتة فى منهج الطالب ، كان صاحب فلسفة وكانت له وجهة نظر ، فالموسيقى هى الوسيلة لتربية الذوق وتنمية الحس الجمالى ، والرياضة هى الوسيلة لكمال الجسد وتنمية الشجاعة والخلق الكريم .

وقد عشنا ورأينا ألوانا من الموسيقى الرفيعة تربى الحس الجمالى بالفعل وترفع الذوق .. كما رأينا على أيامنا ما تفعله الرياضة فى كمال الأجسام وفى كمال الأخلاق .. ولكن يبدو أن العصر اختلف . والموسيقى اختلفت . والرياضة اختلفت

وأصبحنا نقرأ عن مباراة عالمية فى دور تشستر يسقط فيها عشرات القتلى ويتقاتل فيها المشجعون بالسكاكين والعصى والزجاجات الفارغة ، ورأينا معارك أشد فى مباراة عالمية أخرى فى إيطاليا وثالثة فى الدنمرك وتحول الاستاد الرياضى إلى مسرح جرائم وفى بلدنا رأينا المتفرجين يسقطون موتى بالسكتة القلبية لأن الكرة دخلت فى مرمى الزمالك أو الأهلى ، ورأينا المشجعين يتبادلون اللكمات ويعتدون على اللاعبين وعلى الحكم ويسبون هذا وذلك بأقذع الألفاظ .

وفى كل أوليمبياد تكتشف اللجنة أبطالا مشهورين يلجأون إلى الغش وتعاطى الحقن المنوعة ليتفوق كل واحد على منافسيه بدون وجه حق .

وفى آخر خبر جاء من أمريكا رأينا بطلة أوليمبياد التزلج على الجليد تونيا هاروندنج ترشو زوجها البلطجى جيف جالوا ليقوم بعمل كمين لمنافستها نانسى كاريجان ويضربها على مفصل الركبة اليمنى ضربة تكسحها وتمنعها من دخول الملعب .

ويعترف البلطجى على زوجته ، ويقول إنه تلقى منها رشوة خمسة آلاف دولار ووعودا بآلاف أخرى إذا أنجز مهمته على الوجه الأكمل .. وانفجرت فضيحة تناولتها كل الصحف .. ثم أن الرياضة نفسها تحولت إلى تجارة مفترسة ، وأصبح لها سماسرة وأصبح لكل بطل مدير محترف ومكتب دعاية وملحق صحفى وعصابة تتحرك لحراسته أينما ذهب ، وأصبحت البطولة بابا مفتوحا لملايين الدولارات . ونجوم التنس والملاكمة والسباحة والجرى والقفز أصبحوا أصحاب ملايين ونجوم شهرة super Stars وأصبح العرف السائد هو الوصول إلى الكأس . بأى سبيل

ولو بالغش والتدليس والإجرام وأصبحت الرياضة شيئا آخر غير الذى تكلم عنه أفلاطون .

ورأينا نجوما مثل مارادونا يسقطون من قمة النجومية إلى هاوية الإجرام والشم والمخدرات ثم يفقدون كل شيء .

وكان ما حدث للموسيقى أكثر .. فسيمفونيات بيتهوفن وشوبان وفاجنر .. وقصائد الشوقيات وأصوات أمثال عبد الوهاب وعبد الحليم وأم كلثوم ووديع الصافى وفيروز تراجعت لتحتل المسرح راقصات وراقصون يهزون الصدور والخصور وكورس يصفق وطبال يطبل ، وظهر الديسكو الغربى الذى حول الغناء إلى زار وصراخ وضجيج وعجيج وأصبح الطرش وفقدان السمع من أمراض السميعة المدمنين .. ونفس الشيء حدث فى السينما والمسرح .. ورأينا ممثلات كبيرات يعتزلن لأن الأفلام المتاحة أصبح أكثرها هابطا وفاحشا وأشبه بعمل فاضح فى الطريق العام .

وأبطال كمال الأجسام الآن تلتقطهم السينما لأفلام الرعب والإجرام (مثل شوارزنجر وأمثاله) .

والرياضة والموسيقى والغناء والسينما والمسرح وباقى الفنون تحولت فى نظام اقتصاد السوق إلى المواصفات الأمريكية واتجهت إلى القبلة التى تفرضها بورصة هوليوود ويحكمها الدولار .

ولو أن أفلاطون بعث اليوم حيا لأنكر ما يرى وما يسمع ولسحب كلامه وحل جمهوريته وفضل عليها بيع الخضار فى الأسواق . فلم تعد هناك علاقة بين الموسيقى وتنمية الذوق ، ولا بين الرياضة وتنمية الأخلاق الحميدة .. وإنما أصبحنا نرى بورصة مثل بورصة نيويورك وريجنت ستريت تفرض

ـاتها والكل يطبع والأخلاق فى النازل والأذواق فى لا يهم ما دامت المكاسب فى الطالع ولو بالغش ولو بالإجرام ولو بالعهر .

ولا أعمم فما زالت هناك استثناءات ولكنها قليلة ، فالعملة ـة تطرد العملة الجيدة أولا بأول ، والفنون المريضة تجد لها ـائن أكثر ، ونفوسا مريضة تروج لها أكثر فأكثر .. والجيد فى السوق قليل .

ورغم تفوق أمريكا فى العلوم والتكنولوجيا ووسائل القوة ـن أثرها مدمر فى مجالات الفنون كلها بلا استثناء .

وأسلوب التسويق الأمريكى هو الذى أحرج الرياضة من حالة ـمو الراقى ونزل بها إلى ساحة الغش والإجرام .. وأنا أفهم أن ـأخذ عن أمريكا علومها وتكنولوجيتها ولكن لا أفهم كيف نرضى بأن نأخذ عنها فنونها .

وأقول لكل الفنانين ألا تجدون قبلة أخرى تصلون لها غير واشنطن وباريس ولندن ؟ أليس لنا ذاتية وجذور وعطاء ـاص ؟ . أليس لنا تاريخنا الذى تفردنا به وروحنا التى تفردنا بها أيضا ؟ . أليس لنا فضائلنا وتراثنا ؟ . ألسنا مهبط الوحى وورثة الأنبياء ؟

أين نحن فيما تفعلون ؟ وأين نحن فى هذا الطبل والزمر والتهريج والتجارة الرخيصة والتقليد الأعمى والجرى وراء المستورد والمغشوش من كل لون ؟!

أين نحن وأين أنتم من أنفسكم ، ومن جوهركم ومن ماهيتكم التى ضاعت فى الطوفان ؟!

سواح .. فى دنيا الله

أمريكا . القطب الأوحد الذى يحكم العالم منفردا .. وفى يده سيف المعز وذهبه .. يحلو لها دائما أن تتكلم باسم العدالة وأن تصوغ أفعالها باسم الدفاع عن الضعفاء ونصرة الديموقراطية ونجدة الشعوب المهضومة وحقوق الإنسان الضائعة . ولكننا نرى التحيز والكيل بمكيالين والنظر بالعين الحمراء لواحد والتغاضى عن فظاعة وإجرام الآخر .. أحيانا بدرجة فاضحة . فهى تثور وتهدد إندونيسيا من أجل أن ترفع يدها وتطلق سراح شعب تيمور الشرقية (ذى الأغلبية المسيحية) المحتل من عشرين سنة وتتعامى تماما عما تفعله إسرائيل فى الشعب الفلسطينى المسلم من إذلال وطرد وإبادة ونهب للأرض منذ مائة سنة

تعامى عن جيش روسى جرار يمطر شعب الشيشان المسلم صواريخ ويدك مبانيه بالطائرات ويقتل المدنيين الأبرياء بالألوف وتكتفى بلفت نظر لطيف خفيف .. وتقول مادلين أولبرايت إنها ظر إلى روسيا نظرتها إلى صديق تعتز بصداقته . يا سلام رى لو ألقى الفلسطينيون قنبلة واحدة على إسرائيل أكانت تعلق مثل هذا اللطف وتشيد بالصداقة بكل هذه الدماثة والدم الخفيف والفلسطينيون عندهم عذرهم بعد إذلال وتجويع وطرد وقتل لمائة سنة . مستحيل طبعا .. فالعدالة المزعومة التى تحكم بها هى عدالة عمياء لا ترى إلا المصالح التى تهمها .. وعين أمريكا الآن على بترول بحر قزوين وعلى تأمين خطوط نقله وتريد إسكات هذا الشعب الذى تقوم به الشيشان وترى أن ما تفعله روسيا فى مصلحتها وأن ما تقوم به الآلة الروسية الجهنمية بإبادة المسلمين سوف يعفيها من أعباء ثقيلة .. وتفضل السيدة أولبرايت أن يقوم بهذه العملية القذرة الأصدقاء الروس .. وهى تشيد بهذه الصداقة ولا شك فهى تعفيها من أمثال هذه المهمات .

وأين العدالة الأمريكية فى تجويع الشعب العراقى وإذلاله وتدمير ثرواته وهدم مدنه وقتل أطفاله ومطاردته بالعقوبات وبالجواسيس وبأمثال المفتش بتلر الذى يختلق له كل يوم تهمة جديدة .

إنه البترول مرة أخرى ..

وهو البترول العراقى هذه المرة المطلوب أن يظل تحت التسعير الجبرى إلى ما شاء الله .

إنها المصالح حينما ترتدى ثياب العدالة .

والمظالم حينما تأخذ شكل الضرورات السياسية .

وما دامت أمريكا هى أقوى الكل .. فمن يقف أمامها .

ومن يسـائلها وفى يـدها سيف المعـز وذهبـه ودفتـر الهبـات والمعونات ؟

أما صدام فـقد استعملته أمـريكا بما يكفي وجاء وقت الخلاص منه . فلا مـانع من أن تحرك المعارضة الـعراقية وتعـاونها بالمال والسلاح . لـيكون القضـاء على صدام فى صـورة ديموقـراطية مقـبولة وفى شكل تصفـيات يقوم بهـا أصحابهـا وأهلها دون أن تلوث يدها أو يشوب ضميرها شـائبة وكلما اختلف الورثة على حكم العـراق واقتـتلوا كـانت القـلاقل والخلافـات فى صـالحهـا فالمطلوب أن يظل العراق ضعيفا وتابعا .

وإسـرائيل ولا شك سـتكون أسـعـد الناس بمحـو الـعـراق من خريطة القوى الفاعلة في المنطقة فمعناها أنه لن يظهر « بختنصر » جديد ولن يتكرر السبى البابلى فى تاريخ إسـرائيل كما حدث فى القديم .

وإسقـاط الفاعلية العراقـية سوف يخلص إسـرائيل من صداع يؤرقها وسوف يطلق يدها باطمئنان أكثـر وبحرية أكثر لتفسد فى المنطقة كما تريد . فلن يبقى من العرب إلا أهل السياسة والكياسة والقمـة العربيـة العاجـرة وهى وإن اجتـمعت لن يخرج مـنها إلا تصريـحات وشعـارات وخطب بليغـة وقرارات لهـا طنين ورنين ولكنها لا تغير شيئا .

هكذا تفكر إسرائيل .. وهكذا يفكر الأمريكان .

وهكذا يبـدو الأمر فى الـظاهر من واقع الأوراق التى فى أيدى

اللاعبين المشتركين فى لعبة الشرق الأوسط .. « الولد يقش » .

والولد الذكي هو « باراك » ومن ورائه بيريز ودهاقنة السياسة والمكر فى إسرائيل .

فهل يصدق عليهم إبليس ظنه .

وهل تصدق البروتوكولات ؟!!

وهل تتحقق آمال الصهاينة ؟!!

لا أظن .

فرغم أن هذا ما يبـدو من واقع الأوراق التى فى أيدى اللاعبين الجالسـين حـول المـائدة . أن إسـرائيـل هى الفـائزة فى اللعبـة لا محالة .

إلا أن هناك « جـوكر » غـير مـحـسوب اسـمه « الغـيب » فى الأعمـاق الإيمانية لكل مسلم .. فـالمستقبـل لا يمكن التنبؤ به على وجه التمام والكمال وإنما تظل هناك مساحة مجهولة لا يعلمها إلا عالم الغيب .

ولهـذا ينتـهى لاعب الـقـمـار إلى الإفـلاس والخـراب ويطلق الرصاص على رأسه رغم ذكائه ويفاجأ بما لا يحتسب .

والمستقبل أكثر غموضا من لعبة الكارت بما لا يقاس .

ولم يظهر العـقل الذى يحيط بالمسـتقبل .. ولا الآلة الـتى تتنبأ به .

﴿ وما تدرى نفـس ماذا تكسب غدا .. ومـا تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ .

وسيظل هذا التحدى الإلهى إلى قيام الساعة .

وسـينطبق هذاالتـحـدى علـى دهاقنة إسـرائيل وعلى كـتـاب

البروتوكولات وعلى كل من يخطط لدمار العالم ويتصور أن خطته لن تخيب .. ففوق كل ذى علم عليم .. وخطة الماضى والحاضر والمستقبل فى يد صانع الزمان وحده وهو يمضى بها إلى حيث يريد هو .. لا إلى حيث نتمنى نحن .

ويستوى فى ذلك كلام المسلمين عن المهدى المنتظر وكلام النصارى عن « هرمجدون » وكلام شعب إسرائيل عن ملك اليهود .. المسيح الحقيقى   النازل من السماء ليقودهم إلى منصة الرياسة ومقعد الصدق ليدينوا العالم كله ..

احلام .. كلها أحلام وأمانى .

ولن يفوز بمقعد الصدق إلا مقاتل من أهل الصدق من أهل لا إله إلا الله   الله أعلم به   من هو . ومتى يأتى   وكيف يأتى .

ولن نعلم أنه مهدى إلا حينما يهديه ربه إلى النصر .

حتى هو لن يعلم أنه المهدى إلا ساعتها .

الصدام وحده هو الذى سيفرز هذا الرجل وليست الدعاوى والأحلام والأمانى الوردية .

ودون هذا اليوم أهوال .

ولا نعلم أنعيش لنراه . أم أنه لن يأتى فى زماننا ؟؟ ولكن أحداث التاريخ ترتب لظهوره .

والمسرح السياسى يعد لمصادمات كبرى .

وأرجو أن نعى جيدا التحذير الذى جاءنا فى القرآن فى سورة الممتحنة

﴿ يٰأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ [الممتحنة : ١]

﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾ [الممتحنة : ٢]

ويتكرر التحذير فى ختام السورة :

﴿ يٰأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ [الممتحنة   ١٣]

والكلام عن اليهود وعن بنى إسرائيل ينسحب على جميع مسميات التطبيع .

يقول ربنا أن أى ثقة فى هؤلاء الناس هى ثقة فى غير محلها .

وأى موالاة هى كارثة وأى حلف هو نكبة .

والله هو الذى خلقهم .. وهو أعلم بهم .

والله يقول الحق وهو لا يخاف أحدا وليس مثلنا بحاجة إلى المداراة والدبلوماسية والبحث عن مبرر .

وعلى قيادتنا أن تعى هذا الكلام فهو كلام رب العالمين الذى بيده مصائر الأمم والذى يعلم بداياتها ونهايتها والذى بيده مقاليد كل حى فهو المبدىء والمعيد بكلمة . وهو مالك يوم الدين ومالك عمارة الكون على اتساعها وخالق الزمان والمكان والأبد

والذى يسألنى عن .. متى .. متى يأتى نصر الله؟ .. متى يكون ذلك اليوم؟ .. أقول له :

حينما يريد الله سوف يهيىء الظروف وسوف يخلق الأسباب والمسببات وسوف يلهم العقول والقيادات وسوف يمكن لمن يريد فيما يريد .

ولا يبدو هذا اليوم فى الأفق المنظور القريب فأمريكا فى

السماء وأبناء صهيون فى حجرها والعرب فى الحضيض وفلسطين فى حضيض الحضيض . ومسلمو العالم تحت القهر .

وإذا خرج علينا الآن من يدعى أنه المهدى المنتظر فنهايته المحتملة ستكون فى مستشفى الأمراض العقلية .. فالفجر له لوائح.. ولم تظهر لوائح الفجر بعد ..

ولكننا نعيش على أرض تدور .. ولا شىء يبقى على حاله الأقوياء لا تدوم لهم القوة ، والأغنياء لا يدوم لهم الغنى .. ولا أمان لأحد فى هذه الدنيا .

وأين الفرس والروم والأمم التى كانت لا تغيب عنها الشمس ؟

إن كأس الموت الدوار لا يعفى أمة ولا يعفى فردا .

واسم الله الرافع الخافض سيظل يرفع ويخفض كل الرؤوس وكل الهامات .. والتغير هو الناموس الوحيد الذى له الدوام .

« ولا تستعجل » لهم هكذا نقول دائما كما علمنا ربنا فنهايتهم فى الطريق

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣٥]

وقل اعملوا .

إعملوا .. اعملوا ..

كلمة وحيدة لكن فيها مفتاح كل الأبواب .

والعمل هنا يعنى معانى عديدة .. فهو يعنى العمل السياسى بإقامة جبهة عربية واحدة يتوحد فيها الكيان العربى الممزق فى وحدة عضوية تقتضيها المصلحة العاجلة والأخطار المحدقة

بالكل .. ويعنى العمل الاقتصادى بالتنمية الشاملة والتصنيع المتطور . ويعنى النهوض بالعسكرية العربية وكسر احتكار السلاح وتنويع مصادره .. وبالذات سلاح الصواريخ وكافة أنواع أسلحة الرمى من بعد .. باعتباره سلاح المستقبل رقم واحد .. ويعنى أيضا عودة الروح .. لتنبض فى كل مناحى الحياة الروح بمعنى العقيدة واليقين فى النصر والتفاؤل والشجاعة والحماس البناء والإيمان بالله والثقة فى النفس . وكل هذا سوف يحتاج إلى إعلام مختلف وخطاب شبابى مختلف ودعوة دينية مختلفة تخلو من الاستسلام والتواكل وتبث الهمة والأمل فى الأجيال الجديدة .

وكل هذا لا يمكن أن يتم فى يوم وليلة وإنما سوف يحتاج إلى مساحة زمنية . ربما عشر سنوات أو أكثر .. شريطة أن تتغلب الحكومات الموجودة على أزمة الثقة الموجودة بينها وبين الإسلاميين ويصبح الكل جبهة واحدة تناضل فى خندق واحد وترمى عدوا واحدا .. أما حالة التوجس الموجود وسوء الظن المتبادل فلن يؤدى إلا إلى مزيد من « الفاقد » فى الطاقة . وفى الزمن وفى الهدف .. وفى النتيجة التى لن تكون إلا عدة أصفار هذا إن لم تحدث النتيجة بالسالب تراجعا وانهزاما وضياعا للمال والأرواح والأرض والمستقبل .

ويخطىء حكامنا إذا تصوروا أن إسرائيل ولدت لتكتفى بالرقعة المحدودة التى تقف عليها وأنها لا هدف لها سوى السلام ومهادنة جيرانها . كذب ساسة إسرائيل فى هذا وكذبت كل تصريحاتهم . فما ولدت إسرائيل إلا لتغزو وتغزو وتغزو

ما حـولهـا وتوسع من رقعـة الأرض التى تملكها وتضـاعف من المسـتوطنات التى تبنيـهـا وتسـيطر على الشـرق الأوسط وعلى موارده وثرواته .

والعرب لا وجـود لهم فى قاموسـهـا إلا بصفة كونهم أسـواقا لمنتجاتها وخداما لمشاريعها وعملاء لمخططاتها وتابعين لأوامرها .. وقد اتخذت أمريكا حليفا لبعينها على هذه الأهداف .

إنهم أعداء يا سادة .. بكل معانى العداوة .

والله هو الذى يتكلم حينما يقول جل من قائل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة ١٣]

والله هو الذى خلـقـهـم وهـو الذى يعلم سـرهم ونجـواهم .. وحينمـا يقول .. هم أعداؤكم . فـإن قوله الحق . فهذا تاريخهم يدل عليـهم .. وهذا سجلهم يحكى عنـهم . من مبـتدأ وعد بلـفور المشئـوم إلى هجراتهم العدوانيـة إلى فلسطين إلى سلسلة المذابح الوحشية التى بدأت بمذبحة دير ياسين إلى حرب ١٩٤٨ ثم حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ ومـذبحة قانا الوحشـية فى لبنان ومذبحة صـبرا وشاتيلا ومجـزرة الحرم الإبراهيمى .. إلخ إلخ .

ومن فـجّر الحـرب الأهلية فى لبنان ؟؟.. ومن أجج سـعيـرها وأشعل أوارها بين نصـارى لبنان وبين مسلميـهـا ومن كان يوقد

نيرانـها كلما خـبت ؟ . إنها إسـرائيل وجواسـيسـها وعـملاؤها وموسادها ورؤوس الفتنة من أحبارها .

ومن جلب الترسـانة النووية والتهديـد النووى إلى المنطقة ؟ إنها إسرائيل .

ومن قتل عالم الفـيزياء المصرى الدكتـور المشد ؟ إنه الموساد الإسرائيلى .

ومن قـتل دكتـورة الفـيزياء النووية سـمـيرة مـوسى ؟ إنه الموساد الإسرائيلى .

ومن قتل الكونت برنادوت رسـول السلام فى فلسطين ؟ إنه الإرهاب الإسرائيلى .

ومن فجر طائرة البوينج المصرية بركابها ؟ مجرد سؤال إن السـجل يزداد كل يوم صفـحـة سوداء جـديدة وعـلامـة استفهام جديدة .

وملف السوابق الإجرامية لا يؤذن بانتهاء

إنهم يتحـدثون عن السلام . هذا صحـيح . وإسرائيل لا تكف عن التشـدق بالسلام وحـسن الحوار . ولكن هل توقـفت القنابل الإسـرائيليـة عن السـقـوط على جـنوب لبنان ؟ إنهـا مـا زالت تقصف الجنوب اللبنانى حتى الأمس .

وهل توقف القتل العشوائى لهذا الجار الحميم ؟ أبدا

وهل توقفت إسرائيل عن بناء المستوطنات وإغتصاب المزيد من الأرض الفلسطينية كل يوم ؟ .. مطلقا ..

وهل توقفت عن تحديث أسلحتها ومضاعفتها ؟؟ بالمرة

ماذا يمـكن أن يكون شعور الـعرب وهم يرون أنهم مـحاطون

بالتهديد من كل جانب بترسانة الرعب النووى ..؟!!

وما هو المطلوب بالضبط .. سلام . أم إذعان . ؟!!

وكيف تخلق سيكولوجية الرعب سلاما سوى سلام الأذلاء المرعوبين

عن أى تطبيع يتحدثون ..؟!!

وأى سلام يريدون ؟

إنها جملة أكاذيب .

افيقوا يا عرب من هذا الاسترخاء المترف من قبل أن يؤذن المؤذن بنهايتكم واجتمعوا على كلمة .. ولا تلهكم دنياكم عن يوم الفصل .

إنها الآخرة . على الأبواب .

والموعد الله ..

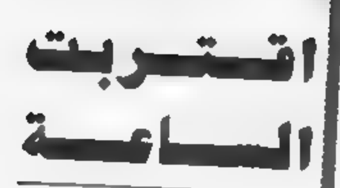

لم يكتف يهود إسرائيل بعمل نصب تذكارى للسفاح باروخ جولدشتين الذى قتل الرجع السجود من المسلمين فى صلاة الفجر فى الحرم الإبراهيمى وحصدهم بالرشاش حصدا وهم سجود . لم يكتفوا بهذا الجرم .. بل راحوا يوزعون صور هذا القاتل لتعلق فى واجهات المحلات إشادة ببطولته وتمجيدا لاسمه حتى يظل مثالا حيا للروح اليهودية التى لا تخبو وللثأر الذى لا يموت الثأر لمذبحة اليهود على يد المسلمين فى خيبر .

وما كان يهود خيبر إلا عصابة من الخونة حفروا للمسلمين حفرة فوقعوا هم فيها .. وما كانت غزوة الأحزاب إلا مكرهم وتدبيرهم .. وما زالوا يكيدون للمسلمين فى كل مكان وفى كل

مناسبة . وما تكاد تبدأ مذبحة للمسلمين إلا ونجد إسرائيل تسابق للمشاركة فيها .. قاتل جنود إسرائيل مع الصرب لذبح المسلمين فى البوسنة .. وقاتلوا معهم لاستئصال الوجود الإسلامى فى كوسوفا . وقاتلوا مع الروس لإبادة المسلمين فى داغستان .. واليوم يقاتلون مع الروس فى الشيشان .. وحيثما ارتفعت للمسلمين راية .. سارعت إسرائيل لتنكيسها ..

وآخر استفزاز كان إنزالهم لخمور إسرائيلية فى الأسواق عليها ملصقات وصور المسجد الأقصى والقدس والخليل والسخرية بالمسلمين .. والاستهانة بشأنهم لا تفوت على المسلم المتأمل .. فهم يسخرون منا ومن شرائعنا ومن ديانتنا فى كل مناسبة

حسنا .. لقد وصلتنا رسالتكم .. وعلمنا أن الجراح بيننا لن تندمل .. وأن العداوة بيننا كتاب وقدر ومصير ولن نكذب على أنفسنا وندخل فى تطبيع معكم أبدا تحت أى شروط أو مواصفات . فأى تطبيع بيننا هو تزييف سياسى لا نرضاه لأنفسنا ولا ترضاه لنا أى قيادة ولا يملك أحد أن يكرهنا على عشرتكم .

والقضية فى مجموعها لا تقبل التجزئة فإذا كان الموقف العام لإسرائيل هو موقف عداوة والسياسة العامة هى سياسة تآمر والنية هى الإعداد للحرب فإنه لا يبقى لنا اختيار . ولا نملك ونحن واقفون فى حالة انتباه طول الوقت على أطراف أصابعنا . وعلى الجانب الآخر من سيناء أسلحة الدمار الشامل مشرعة فى وجوهنا .. لا نملك إلا رفض هذا التطبيع الكاذب .. فالتطبيع مع هذا الوضع أمر مستحيل والصداقة أمر أكثر استحالة .. وقبول هذا الوضع خيانة لا يقبلها أحد على نفسه .

ومحاولة الضغط علينا بالإرهاب النووى أو بالمكر الدبلوماسى

أو بالحليف الأمريكى أو بقطع المعونات سوف يزيد الهوة اتساعا .. وكيف تتصور إسرائيل بعد هذا أن نجلس معا لنقتسم ماء النيل أو لنعطيهم حصة من اقتصادنا أو نشركهم فى صناعة أو تجارة أو مصلحة .. وزراعاتنا فى حاجة إلى كل قطرة ماء ومن ورائها سبعين مليون فم يريد أن يأكل ويشرب وتوشكا سوف تبلع فى باطنها كل جرعات المياه الجوفية وكل فائض النيل المحجوز وراء السد ثم تطلب المزيد وإسرائيل عندها فوائض المياه فى تركيا وبينها وبين تركيا روابط وأحلاف وحساب مفتوح ولن تتردد تركيا فى أن تعطيها ما تشاء من حصة سوريا أو من حصة العراق .. فهى وتركيا تؤلفان معا جبهة عسكرية فى مواجهة عرب الشرق الأوسط جميعهم .. والعسكر الذين يحكمون تركيا هم من اليهود الدونمة وهم وإسرائيل أبناء عمومة يفكرون باستراتيجية واحدة .

إن المائدة تعد لوليمة كبرى يؤكل فيها العرب وتؤكل أرضهم وثرواتهم وبلادهم ومصالحهم . والمسرح يعد لهدم المسجد الأقصى وعبوات الديناميت مدفونة فى السراديب ومجهزة للتفجير . ولم يعد للعرب إلا خياران اثنان أن يختاروا أن يكونوا مجرد كومبارس لهذه المعزوفة المشئومة التى سوف تنهى حياتهم .. أو أن يختاروا أن يكونوا أمة لها دور وصوت ومستقبل وكرامة .

وأضعف الإيمان أن يجتمعوا ويتداولوا ويتفقوا .. أما استمرار الغيبوبة وانتظار الفرج من الله . فإن الله لن يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا هانوا على أنفسهم فسيكونون عند الله أهون شأنا . وقد دالت من قبلهم أمم كانت أشد منهم قوة

وابتلعت الأرض أقواما كانوا أشد بأسا .. والله هو العزيز المستغنى وهو يأخذهم بذنوبهم ويستبدل غيرهم ولا يبالى .

أيساوى حب الدنيا كل هذا الهوان ؟.. أتخافون الموت وكلكم موتى حتما ولم يعف من الموت مخلوق منذ بدء الخليقة . وعدوكم الذى تخافونه أكثر منكم خوفا .. وأنتم سلالة الفراعين والعماليق وبقايا عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وأحفاد صلاح الدين الذى دوخ الصليبيين .. وبيبرس الذى هزم التتار وأحمس الذى غلب الهكسوس وخالد بن الوليد الذى قهر الروم والفرس . وغبار المعارك ما زالت له رائحة فى الهواء وآثار العجلات الحربية لم يمحها الزمن بعد .. والتاريخ يتألق بأيامكم الزاهرة الباهرة

هل أصابكم الترف بالوهن وفتور الهمة فأصبحتم تؤثرون سلام الهوان والذل على حياة العز والكرامة .

والله يستنهضكم ويقول لكم :

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد ٣٥] .

الله يشجعكم ويقول لكم أنتم الأعلون وأنا معكم فلا تستسلموا وتدعو إلى سلام الذل والهوان .. فأنتم أهل المكانة والرتبة العليا حملة الرسالة . ولن أضيع أعمالكم

﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾[محمد . ٣٦] .

هكذا يمضى القرآن فى استنهاض همة المسلم ليقتلعه من مغريات الترف الذى غرق فيه ومن الوهن الذى أصابه ويغريه بالأجر ويؤكد له أن الله لن يضيعه .

فأين أنتم من هذا النداء الإلهى .

وأين أنتم من هذا الإعلام الربانى .

بل هو أكثر من نداء وأكثر من إعلام .. فهو أمر يا سادة .

وإذا كان الله أراد لكم هذا الامتحان . فهل عندكم مهرب ؟!!

وهل يملك أحد أن يتخلف عن امتحان أمر به رب العالمين ؟

لا والله لا مهرب .

نحن مقبلون على صدام أكيد .. ولا أرى مخرجا سوى أخذ الأهبة والاستعداد ، أجمعوا أمركم يا سادة ولتكن إيران طرفا فى الاجتماع المرتقب فكلنا إخوة شيعة وسنة ولنأخذ الأمر بالجدية الواجبة فقضيتنا واحدة وعدونا واحد ومصيرنا واحد .

تحدثوا فى السلام ما شئتم .. ولكن لن يكون هناك سلام . وليس عند إسرائيل إرادة سلام وليس فى نيتها أى سلام غير استسلامكم الكامل لمشيئتها .

وإذا اجتمعتم على موقف وجلستم معا كإخوة وكنتم يدا واحدة وكلمة واحدة على تحرش إسرائيل فسوف تتغير أشياء كثيرة .. وقد تفكر إسرائيل مرتين قبل أن تمد يدها بعدوان .. فلا شىء يرد بأس اليهودى سوى خوفه على حياته .. ولن يتمنى اليهودى الموت أبدا كما يتمناه مسلم يتعشق الشهادة .. يخاطبهم الله فى كتابه :

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٩٤ ـ ٩٥] .

الله يقول أنهم يعلمون بما قدمت أيديهم ويعلمون أنهم مجرمون فسقة ولهذا لا يتمنون لقاء الموت أبدا فهم يعلمون أن الدنيا هى فرصتهم الوحيدة .. وأنه ليس بعد دنياهم إلا سوء المآل .

وهذه شهادة الله فيهم . وهى الحق .. ولهذا تريد إسرائيل الخلاص من القرآن وأهله . تريد أن تتخلص من هذه الوصمة وتمحوها إلى الأبد .. ولو استطاعت أن تغير وتبدل كلام الله لفعلت.

ولكنها لا تستطيع أن تغير كلمة ولا حرفا قاله رب العالمين فى قرآنه .. فهو الذى أنزل القرآن وتعهد بحفظه بنفسه :

إنا نحن (والضمير هنا عن الجمعية الأسمائية كلها) ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

تزول الدنيا كلها ولا يزول حرف أنزله رب العالمين .

وهذا قضاء رب العالمين وانتهى الأمر .

يقول لإسرائيل فى سورة الإسراء

﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ [الإسراء ٧]

أى أننا سندخل عليكم القدس التى اغتصبتموها وسندمر كل ما عمرتم وكل ما أنشأتم فيها ونعيدها عربية إسلامية كما بدأت

والذى يقول هذا هو الله رب الأكوان كلها وخالقها وبارئها ولا يملك العرب مهما تخاذلوا ومهما استكانوا ومهما ضعفوا ومهما أماتت قلوبهم الدنيا إلا أن يهبوا راغمين وينتفضوا انتفاضة رجل واحد .. يعلم هذا كبيرهم وصغارهم وحكامهم ومحكومهم فالمتكلم هو الله الذى أقام الدنيا بحرف كن ويهدمها بحرف كن والذى تنشق بأمره السماوات وتمور الجبال وتتفجر البحار نارا . تقدس ربنا فى علياته . لا يعجزه شىء

إن السلام حلم .. سراب .. خيال مسكر ..

والكلام عن السلام أشبه بفراش وثير ناعم يحلو للكسالى

يتقلبون فيه ويتثاءبون دون عجلة فلا داعى للعجلة فلن يحدث شىء ولا خطر هناك .. ولا مبرر للقلق ولا مسوغ للخوف فلنعد إلى نومنا ونترك الدنيا للديان .

وتتغير الخريطة ببطء ونحن نيام ونصحو كل يوم على حدود جديدة . ونقول فى فتور . نجتمع .. لا نجتمع .. لا ضرورة لأن نجتمع .. نفكر فى أن نجتمع .. ثم يحدث مع الوقت أسوأ شىء نتعود على المهانة .

والمهانة .. هى اللحظة التى ينتظرها الخصم لينقض على خصمه بالضربة القاضية .

وهم يصنعون لنا هذه المهانة على نار هادئة من مبدأ الأمر باغتصاب الأرض وطرد أصحابها وهدم بيوتهم .. ثم يقتحم السفاح باروخ جولدشتين المسجد فى الفجر ويقتل ثلاثين من المصلين وهم سجود . ثم يصبح بطلا .. فماذا حدث بعد ذلك كلام كثير .. وصياح .. وصراخ .. واحتجاج .. ثم لا شىء . ثم تعود الحياة إلى حالها .

ويستفحل الظلم ..

ويتراكم الغل فى القلوب ..

ويظن المستعمر الإسرائيلى أنه استطاع أن يروض الدابة العربية المغمى عليها وأنه تغلب على جموحها .

ويكدس كل يوم أسلحة أكثر ودبابات أكثر وطائرات أكثر وأموالا أكثر . وأعوانا أكثر .. ويطغى أكثر .. ويستعلى أكثر .

ولم يبق إلا قليل يا سادة ويتفجر المرجل .

نجتمع .. لا نجتمع .. لابد أن نجتمع .. ضرورى أن نجتمع .. من الأفضل أن نجتمع .. لا مفر من أن نجتمع . نقاطع والت

دزنى لا نقاطع والت دزنى . هناك وزير عربى كبير مساهم فى والت دزنى .. لا نجتمع .. نجتمع .. لا نجتمع .

ونوشك أن نبلغ النهاية ..

والله قدر هذه النهاية من الأزل وقدر هذا الامتحان فهل هناك مهرب ؟!!

وهل يملك أحد أن يتخلف عن امتحان أمر به رب العالمين ؟!!

لا والله لا مهرب .. سوف ندخل هذا الصدام مختارين أو مرغمين .. فقد أراد لنا الله « ذات الشوكة » .

والحكيم من أدرك هذا اليوم واستعد له .

وما نحن من هذا اليوم ببعيد .

استعدوا وأجمعوا أمركم يا عرب هبوا من رقادكم يرحمكم الله فإن دنياكم التى أترفتم فيها لا تساوى عند الله شيئا .. وأنتم من جنات ربكم الوارفة .. على مرمى حجر .. بل على مرمى طلقة بندقية .

أفيقوا .. وافتحوا عيونكم .. وافتحوا عقولكم .. وهبوا من هذا السبات الغليظ الذى أشرف بكم على التهلكة .. وثقوا أنه لا مهرب .. وأنه ليس من الله بد .

المستقبل

كان موضوع الساعة فى هذا العام ولاشك هو الانقلاب العسكرى فى باكستان بقيادة الجنرال بورفيز مشرف وقد جاء هذا الانقلاب تتويجا للفكرة التى يرددها الغرب بأن الإسلام يلد الانقلابات بطبيعته فهو نظام يرفض الآخر ولا يقبل الاختلاف ويطالب أتباعه بالإجماع والانقياد إلى الواحد ويسمى الخارجين عليه بأهل الفتنة .. وهو كلام غير دقيق وتشويه متعمد لعقيدة تقوم على الشورى والجدل بالتى هى أحسن مع المخالف وتُعلى من شأن العقل فى التعامل مع كل شىء .

ولقد قامت فاشية فرانكو فى أسبانيا المسيحية فلم يقل الغرب إن المسيحية هى التى أفرزتها . وقامت نازية هتلر فى ألمانيا فلم

يقل المستشرقون إن مسيحية ألمانيا هى التى صنعتها .. وقامت البلشفية الدموية فى قلب روسيا المسيحية فلم يقل أحد إن هذه الدموية كانت وليدة الإيمان بالمسيح .

ولم يكن انقلاب عبد الناصر العسكرى إسلاميا .. بل إنه قد ناصب الإخوان المسلمين أشد العداء .

ولكن الإسلام متهم دائما بذنوب الآخرين

وقد أخذ النبى عليه الصلاة والسلام بالرأى الآخر فى موقعة بدر .. نُعسكر أمام البئر أم خلف البئر ؟؟.. فنزل على رأى الأغلبية وأخذ بأغلبية الذين استشارهم فى موقعة أحد . نتحصن فى المدينة أو نخرج للجبل .. فقالت الأغلبية بالخروج إلى الجبل فنزل على رأيهم رغم أنه كان يرى البقاء فى المدينة .

إن روح الشورى والمبدأ الديمقراطى كانت الأساس فى السنة المحمدية كلها . والديموقراطية لم تكن بدعة ابتدعها الغرب وإنما هى خلق إسلامى وهدى يهدى إليه العقل السليم ..ولم يأت عمر ابن الخطاب إلى الحكم بانقلاب عسكرى .. وإنما جاء بالانتخاب

والذى جاء بنعم ولا هو عبد الناصر .. وهو الذى أدخل هذه السنَّة فى دستورنا .

والحكم الدموى أيام الخلافة الأموية والخلافة الدموية العباسية والخلافة الدموية العثمانية يُسأل عنها الحلفاء الدمويون ولا يسأل عنها الإسلام .

وما يفعله العسكر فى تركيا ونزول الجيش إلى الشارع لأن هناك امرأة لبست الحجاب هى الدكتاتورية الحقيقية التى يباشرها أعداء الإسلام لاستئصال أى بقية إسلامية وأى مظهر باق للإسلام فى تركيا حتى ولو كان إيشارب أو طرحة

إن ما نشهده الآن هو حرب معلنة على الإسلام .. أحيانا سافرة كما فى الشيشان وأحيانا مستترة فى كل ما يصدر عن الإعلام الغربى من فكر وفن وسياسة وصحافة .

والشعار الذى يردده الغرب هو كلمة نكسون .. انتهينا من الشيوعية ولم يبق لنا عدو سوى الإسلام .

ووقوف أمريكا والغرب مع إسرائيل هو مؤشر على اتجاه التيار وبوصلة تحدد اتجاه المستقبل .. وهم جميعا يقولون إنهم يتكلمون عن الحق .. ولا أحد مع الحق .. لأن الفكر مغرض من البداية .

ويخطىء من يتصور أن موقف الغرب مع المسيحية . والحقيقة أن الغرب حاليا لا دينى علمانى مشغول بلقمته ولذته ونزهته ورصيده فى البنك ولا يؤمن بأى دين وإذا أخذ صف المسيحية فليستعملها ضد الإسلام ولكنه لا دينى .

الدنيا هى كل شىء عنده وهى الهدف والغاية والطريق ولا أحد يفكر فى آخرة أو حساب .

والرجل الأوروبى ينظر لك فى استغراب إذا حدثته عن صحوة بعد الموت وحشر وحساب وتبدو الدهشة فى وجهه

وإذا كان رجلا مهذبا فإنه يقول لك إن هذا تفكير بدائى . ويمضى إلى حال سبيله لا يلوى على شىء وهو ينظر لك فى إشفاق .

والعرب ضعفاء لا تجتمع لهم راية ، وجامعتهم العربية لا تجمعم على شىء وهم حاليا صفر تاريخى

ولكن الإسلام ينتشر فى أوروبا بقوته الذاتية وتتضاعف أعداد المسلمين كل يوم .. وفى أمريكا تجاوز المسلمون السود السبعة

ملايين .. كيف ؟!! وكيف تكون هذه الكثرة بلا صوت .. وبلا ضغط وبلا أثر .. وتكون قلة من اليهود فى إسرائيل فاعلة ومؤثرة بهذا القدر ..؟!!

أم أن هناك أثرا تراكميا خفيا يظل يتراكم حتى يبلغ ذروة انفجارية فى لحظة يقدرها الله .

كما تتفاعل الخميرة ببطء فى العجين الرخو ثم تنفجر فى بالونات وفقاقيع مرة واحدة .

وكما تتفاعل المؤثرات الباطنة فى الأرض ثم تنفجر فى بركان ثائر يقذف باللهب .

وكما تتلاقى الذبذبات تحت القشرة الأرضية وتتدافع لتصنع زلزالا .

نعم .. يا سادة .. صدقونى . إن الهدوء الظاهر فى أحوال الدنيا هدوء كاذب .. فتحت هذه القشرة الهادئة .. مرجل يغلى . وفى هذه الخميرة الباطنية المضطرمة كل عناصر الانفجار والقلوب فى حالة تصادمية طول الوقت .

والمستقبل محنة حقيقية إن لم يجمعنا الله برحمته ويؤيدنا بمدده ويهدينا بنوره .

وانقلاب الجنرال مشرف هو بعض هذه البثور التى تنفجر فى البشرة الجغرافية للأمم ويقول العارفون من أهل الطب إن السبب هو تراكم السموم فى الدم .

وما أكثر ما يتراكم الآن فى البنية الاجتماعية لأمم العالم الثالث وفى عالم التلوث البيئى والفكرى والسياسى والغذائى من أمثال هذه السموم

إن اللحم الملوث بمرض جنون البقر القادم من انجلترا والذى

ترفضه هولندا وفرنسا وألمانيا نجده الآن معروضا فى جزارات دول العالم الثالث .. ولا أحد يهتم ففضلات البقر وصلت أخيرا للبقر .. فقد عرف مكانه ولا غرابة .

وهم يأخذون خيراتنا ويلقون إلينا بفضلاتهم .

والمخدرات المصنعة تأتى من عندهم .

والانقلابات العسكرية تصنع وتمول وتدار من مكاتبهم

لكن لكل شىء نهاية .

وسوف تقلب هذه النهاية كل الموازين .

قالت لى نفسي :

نارك وجنتك بين جنبيك . نارك وجنتك فيما تختار وما تعجل إليه من أقوال وأفعال وما تبادر إليه من عمل وما تمتد إليه يدك من حلال وحرام

يدك هى التى تحفر بها قبرك وتصنع بها مصيرك ولسانك هو الذى يهوى بك إلى الهاوية أو يصعد بك إلى أعلى عليين .. أنت ما تقول وأنت ما تعمل

انظر ماذا تفعل تعلم مسكنك وتشهد قيامتك قبل قيامتك وتعلم ساعتك قبل ساعتك .

قال لى شيطانى مستنكرا

وأين أنت الآن من قيامتك وأين أنت من ساعتك .. هذا الوسواس الشؤم الذى تصحو وتبيت فيه .. انظر حولك يا فتى . أنت مازلت في الدنيا .. اقطف زهرتها وانعم بلذاتها وأمامك فرص التوبة ممتدة بطول عمرك .. وأنت ما عشت فأنت فى رعاية التواب الغفار قابل التوب وغافر الذنب . لا تعقد أمورك واضحك للأيام تضحك لك ..

قلت وأنا أتحسب كل كلمة ..

تضحك لى أو تضحك علىّ بالعين . ومن أدرانى أن ما أقول الآن هو آخر أقوالى وما أفعل الآن هو ختام أفعالى وأنى ميت اليوم ومن مات فقد قامت قيامته وبدأت ساعته .

قال شيطانى .. أعوذ بالله من غضب الله ..

ما هذا الكابوس الذى تعيش فيه ، حياة كالموت وموت كالحياة، لم يبق إلا أن تصنع لنفسك تابوتا وتنسج لك كفنا تتمدد فيه . أين أنت من هذا اليوم يا رجل .

قلت :

ومن يدرينى أن بعد اليوم بعد .

قال شيطانى .

هل أقمت من نفسك قابضا للأرواح وفالقا للإصباح أم أنك المتنبي الذى لا تخيب له نبوءة .. الزم غرزك يا رجل ما أنت إلا عبد من عباد الله . عش يومك كأنك تعيش أبدا .

قلت .

ما قالوها هكذا يا لئيم .. بل قالوا .. اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .. أرأيت كيف تقلب كل الحقائق ..

قال شيطانى :

إنما أردت لك الحياة وأردت أنت لنفسك الموت .. ومرادى كان دائما مصلحتك .

قلت :

بل موت النفوس كان مرادك وهلاكها فى الجحيم كان شغلك الشاغل وهمك المقيم يا سمسار الجحيم .

●●●

هل كنت أكلم أحدا ؟؟.. أم كان يكلمنى أحد .

هل كان حوارا بحق .. أم كان خيالا .. أتخيله .

إن حديث النفس حقيقة لا شك فيها .. وهو نوع من الإعجاز الربانى .. فهو حديث داخلى لا يسمعه غيرك ولا يطلع عليه سواك .. ولا يستطيع أى جهاز الكترونى بشرى أن يسجله عليك.. والنفس فيه طرف .. والطرف الآخر يمكن أن يكون النفس ذاتها .. ويمكن أن يكون الشيطان .. وإبراهيم الكليم أبو الانبياء كلمه ربه.. وهكذا ترتفع المكالمة لكل نفس على حسب قدرها ومستواها .

يقول ربنا مكلما موسى فى سورة الأعراف الآية ١٤٤ :

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]

وحينما تكون وساوس النفس من المستوى الشيطانى .. يمكن أن يكون الشيطان طرفا فى الحديث .. وحينما ترتفع النفس إلى المستوى الملائكى .. يمكن أن يكون القرين المتحدث ملائكيا .. وكلما ارتفع مستوى الحديث ارتفع مستوى المتحادثين .

وللغيب علومه كما أن للفيزياء علومها وللذرة علومها وللنفس علومها .

والشيطان حقيقة وليس شخصية روائية خيالية من بنات خيال المؤلفين .

وفى آخر الزمان حينما تقوم القيامة سوف يعترف الشيطان بما فعل بضحاياه أمام الملأ وأمام الحشر المجتمع من كل الخلائق .

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

وهكذا ينزل ستار الختام على الدراما الكبرى للوجود التى استغرقت أجيالا وقرونا من آدم أول الخلق إلى الخاتم محمد بن عبد الله آخر الرسل عليه الصلاة والسلام .. فى كلمات هائلة تتصدع لها القلوب ومشهد جامع يشيب لهوله الولدان .

وسوف نرى الشيطان ساعتها وهو يتكلم فى قلب الجحيم وسوف نسمع آخر كلماته .

﴿ إن الظالمين لهم عذاب اليم ﴾ .

إن الشيطان حقيقة وليس أسطورة .

والنار حق .

والعذاب حق .

إنها ليست أوبرا يا سادة .. يصفق بعدها الحضور وتنزل الستار .. كما يتصور الأوروبيون المتحضرون عشاق الفن .

والأمر ليس كما تصوره الرئيس ميتران فى الحديث التليفزيونى الذى أجاب فيه على المذيع الذى سأله .. ماذا تقول لله حينما تراه يا سيادة الرئيس .. فأجاب ميتران :

سوف أقول له .. Sorry .

هكذا قال الرئيس ميتران فى بساطة فرنسية .

ولا أظن أن الرئيس ميتران سوف يرى الله .. ولا أظنه سوف يقوى على مكالمته .

ولا أظنه سوف يجتمع له رشد أمام ذلك المشهد الرهيب أو يبقى فيه لب لينطق .

وكان آخر ما شهدت من الرئيس ميتران مشهدا لا أنساه أيام حرب الإبادة التى أعلنها الصرب على مسلمى البوسنة .

رأيته وقد جاء مسرعا من فرنسا ليرى بعينيه مصارع المسلمين فى الأرض الأوروبية .. ووقف يتلفت حوله فى ثقة واعتداد .

أخيرا جاء يوم الطرد النهائى للمسلمين من الأرض الأوروبية .

هكذا نطقت عيناه .. وإن لم تنطق شفتاه .

وقلت له فى نفسى ساعتها .

بل لم تنته القصة بعد يا سيادة الرئيس .

وقد انتهت حياة ميتران ومات بالسرطان .

ولم تنته القصة بل تعددت فصولا .. فشاهدنا لها فصلا ثانيا فى حرب كوسوفا ثم فصلا ثالثا فى حرب الشيشان تخوضها روسيا بتمويل أمريكى ومساندة إسرائيلية وسكوت أوروبى .

والحرب معلنة على المسلمين فى كل مكان هذه الأيام .

وللشيطان أعوان من شياطين الإنس بلا عدد .

ولله شهداء يختارهم كل يوم ليزين صدورهم بأوسمة البطولة.

والحرب مستمرة .. وسوف تتعدد فصولا إلى آخر الزمان .. حينما تنزل ستار الختام ...وتعلن الحقائق فى مشهد جامع هو يوم القيامة .

واعترف بأنى شديد الفضول لرؤية السيد ميتران ساعتها .. شديد الفضول لما سيقول .. هل سيقول لرب العالمين .. Sorry .. كما زعم فى حديثه الكوميدى فى التليفزيون .

ليرحمنا الله جميعا ..

فهذا مشهد يشق على الجبابرة ..

فما بال الضعفاء أمثالنا .

وما زلت أعجب كيف قالها .. بهذه البساطة الفرنسية .

إنه قطعا لم يتصور أنه يتحدث عن واقع سيقع .. ولم يخطر بباله أبدا أنه سوف يحدث كما تروى الكتب الدينية .

والأوروبى العادى يفتح فمه فى دهشة إذا قلت له إنه سوف يقوم من الموت ليقف بين يدى الله .. رب العالمين ..

ولو أنه أيقن بذلك وآمن به .. لما كان هناك استعمار .. ولما كانت هناك تلك المجازر البشعة والإبادة المنظمة التى زاولها الرجل الأبيض فى حروبه مع السود فى أفريقيا وآسيا .. ومع المسلمين فى كل مكان ..

وإنما الظلم كان يملأ صفحات التاريخ ليقين الظالمين بأنه لا قيام بعد الموت ولا حساب ولا مساءلة .

والكبار كلهم ظنوا أنهم لا يموتون ولا يحاسبون .. والذين خطر لهم أنهم يمكن أن يموتوا كان يقينهم أن الله سيبعثهم ملوكا .. وأن جنة الآخرة لهم .. كما كانت جنة الدنيا لهم .. وشيطانهم صنع لهم ذلك الوهم وأقنعهم به .

وكان قدماء المصريين أكثر من آمن بالبعث والحساب والميزان .

ولهذا كان المصريون أكثر الشعوب إنسانية .

إنه إفك قديم قدم التاريخ حكاية إنكار الناس للبعث .

وأكثر الشعوب تقدما وأقواها بأسا كانت أكثرها كفرا ..

وهكذا كان ظن جاجارين حينما خرج من جو الأرض إلى الفضاء .. وكانت أول رسالة أرسلها إلى الشعب الروسى .. أنا فى فضاء بلا نهاية .. لا وجود لأحد هنا غيرى .. ولم أجد الله .. وحيثما ألتفت لا أجد إلها .. لا أحد سواى .. ورددت أبواق الإذاعة الشيوعية فى موسكو لفورها .. أن جاجارين جاء بالخبر اليقين وأنه لم يجد إلها فى السموات .

هل تصور جاجارين أنه سيجد الله فى شرف استقباله وأن موسيقى الملائكة سوف تعزف له السلام الملكى .

وقد مات جاجارين بعد ذلك بشهور فى حادث تصادم .. ليس فى الفضاء .. ولكن فى الأرض .. وفى أزقة موسكو كأى كلب ضال .. ورأى ساعتها ما كان ينكره .. ولكن بعد فوات الأوان بعد أن أصاب لسانه الخرس وتوقف قلبه عن الخفقان .. ودفن مع سره فى ظلام النسيان .

وسيظل ما بعد الموت طلاسم وظنونا وغيوبا مغيبة .

ولن يُكشف السر إلا بعد أن يغلق الباب الدائرى خلف كل

مرتحل ويستحيل التواصل بينه وبين أحد من الأحياء .. وفى ظلام الوحدة المطلقة سوف تتجلى له الحقيقة وسوف يرى كل شىء .. وساعتها لن ينفع الندم .. فكتاب الأعمال أغلق .. وحياته انتهت .. وما بقى سوف تتقطع له نياط القلوب .

والويل لمن لا يفهم .

إن الله موجود ليس لأن المسلمين يؤمنون بوجوده ولكن لأنه حقيقة مطلقة أزلية لا معنى لأى شىء بدونها .

الله هو سر الجمال والرحمة والمودة والحرية والحياة .

وأسماؤه الحسنى مطبوعة على الوردة وعلى إشراقة الفجر وعلى ابتسامة الوليد وعلى إطلالة الربيع وعلى كفتى الميزان وعلى صولجان الحكم .. فهو العدل الحكم .. وبدونه يستحيل العدل وتستحيل الرحمة وينطمس الكون ويظلم فهو نور السموات والأرض .

وهو الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ..

إن الدين يبدأ به .. والفلسفة تنتهى إليه .. والعقل يتوقف عنده .. فلا كيف ولا كم ولا أين ولا متى .!!

وإنما .. هو ..

ولا إله إلا هو ..

ولا يملك العقل إلا السجود .. ولا تملك العين إلا البكاء ندما .

رفعت الأقلام وجفت الصحف .

اسألوا لنا ولأنفسكم الرحمة ..

والتمسوا لنا ولأنفسكم النجاة .

لم يبق إلا التوسل ..

قطاع الثقافة

الأعمال الكاملة
للدكتور
مصطفى محمود

31
6 222007 800016